



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آیه التطهیر رویه مبتکره

کاتب:

محمد فاضل لنکرانی

نشرت فی الطباعة:

مرکز فقهی ائمه اطهار (علیهم السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٩	آيه التطهير رويه مبتكره
٩	اشاره
١٠	اشاره
١٤	پيش درآمد
٢٦	النكته الأولى:علاقه الآيه بزوات النبی صلی الله علیه و آله
٢٦	اشاره
٣٠	الآيه الخاصه،آيه التطهير:
٣٤	رأى أم سلمه:
٣٧	رأى زيد بن صوحان:
٤٠	موقف ابن عباس:
٤١	المهمه و الدور الآخر:
٤١	اشاره
٤١	١-فى سقيفه بنى ساعده:
٤١	اشاره
٤٣	التفاته أدبيه:
٤٥	٢-فى الشورى:
٤٦	٣-فى خلافه الإمام الحسن عليه السلام:
٤٨	النكته الثانيه:البحث فى شأن نزول الآيه و ترتيبها
٤٨	اشاره
٤٨	١-استقلالیه جمله
٤٨	اشاره
٤٩	القسم الأول:روايات العاثة
٤٩	اشاره

- ٥٢ نظره في الروايات العامه:
- ٥٣ لا معارض لهذه الأحاديث:
- ٥٥ ملكيون أكثر من الملك !
- ٥٥ اشاره
- ٥٥ الطائفة الأولى:
- ٥٥ اشاره
- ٥٦ عكرمه(مولى ابن عباس):
- ٥٩ مقاتل :
- ٦١ عروه:
- ٦٢ الطائفة الثانية:
- ٦٣ القسم الثاني:روايات أهل البيت عليهم السلام
- ٦٣ اشاره
- ٦٦ تناسق الأخبار و انسجامها(ثمره البحث):
- ٧٠ ٢-موقع الآيه في التدوين:
- ٧٠ اشاره
- ٧١ ترتيب الآيات:
- ٧٢ مسأله هامه:
- ٧٢ اشاره
- ٧٣ الدليل الأوّل
- ٧٧ الدليل الثاني:
- ٧٩ كلام على عليه السلام حول القرآن:
- ٨٢ خلاصه هذه الاستدلالات:
- ٨٢ شبهه و تساؤل:
- ٨٣ ردّ الشبهه:
- ٨٥ مؤيد آخر لموضع الآيه
- ٨٧ أسره النبي صلى الله عليه و آله و عائلته فريقان:

٨٨	البرنامج القرآنى للفريق الأول
٩٠	امتياز الفريق الثانى
٩٢	العلة فى ترتيب و تدوين الآيه فى هذا الموضوع
٩٣	حقائق كشفها البحث
٩٤	إشكال على الاستطراد:
٩٥	ردّ الإشكال:
٩٧	حول الاستطراد:
١٠٠	النكته الثالثه:المقصود من الإراده
١٠٠	اشاره
١٠٠	الإراده التكوينيّه
١٠٢	الإراده التشريعيّه
١٠٣	الإراده التكوينيّه و الإراده التشريعيّه فى القرآن الكريم
١٠٤	أما الآيات التى تشير إلى الإراده التشريعيّه،فمنها:
١٠٤	الإراده فى آيه التطهير
١٠٤	ما ذا يقول سيد قطب فى ظلاله؟
١٠٨	هل الإراده فى آيه التطهير تشريعيّه؟
١١٠	تساؤل
١١٠	ردّ و توضيح
١١٤	حديث مع الألوسى
١١٥	حديث آخر مع الألوسى
١١٧	جواب موجز:
١٢٠	الإراده التكوينيّه و الجبر
١٢١	خروج من موضع الشبهه
١٢٤	النكته الرابعه:الرجس فى النظره القرآنيّه
١٢٤	اشاره
١٢٩	نتيجه البحث:

- ١٣٢ تقرير حقيقته
- ١٣٤ النكتة الخامسة: المقصود من «أهل البيت» في آية التطهير
- ١٣٤ اشاره
- ١٣٥ المدعى
- ١٣٦ أدلّه وإثباتات المدعى
- ١٤٠ احتمال وجيه في خروج أم سلمة عن مورد الآية
- ١٤١ تسميه جديده
- ١٤٤ ثمره التحقيق:
- ١٤٦ مزيد من التوضيح
- ١٤٨ تساؤل:
- ١٥٠ وجه احتجاج بقتيه الأئمة عليهم السلام بالآيه
- ١٥٠ الجواب:
- ١٥٤ جوله في النصوص
- ١٥٦ نظره في عطاء آيه التطهير
- ١٥٦ اشاره
- ١٥٩ إثبات ولاية أهل البيت عليهم السلام بالآيه
- ١٦٢ ملاحظه
- ١٦٢ اشاره
- ١٦٣ ما ذا عن الزهراء عليها السلام، و دورها و موقعها؟
- ١٦٤ الجواب:
- ١٧٣ مصادر التحقيق
- ١٧٩ تعريف مركز

سرشناسه: فاضل موحدی لنکرانی، محمد، - ۱۳۱۰

عنوان و نام پدیدآور: آیه التّطهیر رویه مبتکره / تالیف محمد الفاضل اللنکرانی، شهاب الدین الاشرافی؛ تحقیق مرکز فقه
الائمه الاطهار(ع)؛ [ترجمه عباس نخعی]

مشخصات نشر: [قم]: مرکز فقه الائمه الاطهار علیهم السلام، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری: ص ۱۷۶

شابک: ۹۶۴-۹۲۳۰۹-۵-۵۵۰۰۰ ریال

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: چاپ قبلی: للنشر و الدراسات الاسلامیه امام، ۱۳۷۳

یادداشت: عنوان اصلی: اهل البیت، یا، چهره های درخشان در آیه تطهیر.

یادداشت: چاپ سوم: ۱۴۲۴ق = ۵۰۰۰: ۱۳۸۲ ریال

یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع: تفاسیر (سوره احزاب. آیه تطهیر)

موضوع: خاندان نبوت

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده: اشراقی، شهاب الدین

شناسه افزوده: نخعی، عباس، مترجم

شناسه افزوده: مرکز فقهی ائمه اطهار(ع)

رده بندی کنگره: BP۱۰۲/۶۵۴/ف ۲ الف ۹۰۴۳ ۱۳۷۹

رده بندی ديويي : ۲۹۷/۱۸

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۲۵۷۹۳

ص : ۱

اشاره

آیه التطهیر رویه مبتکره

تالیف محمد الفاضل النکرانی ، شهاب الدین الاشرافی

تحقیق مرکز فقه الائمه الاطهار(علیهم السلام)

ص: ۳

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَ الصَّلَاةِ وَ السَّلَامِ عَلٰی مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّیِّبِیْنَ الطَّاهِرِیْنَ وَ اللَعْنَةُ الدَّائِمَةُ عَلٰی اَعْدَائِهِمْ مِنَ الْاَوَّلِیْنَ وَ الْاٰخِرِیْنَ فَضْلًا عَنِ الْقِيَمَةِ الْعِلْمِیَةِ وَ الْمَحْتَوٰی الرَّاقِیْ لِهٰذَا الْکِتَابِ فَاِنَّهُ یَتَرْتَّبُ بِفَضْلِیْهِ اٰخَرٰی، هِیَ اَنَّهٗ بِقَلَمِ سَمَاحَةِ آیَةِ اللّٰهِ الْعَظِیْمِ الشَّیْخِ الْفَاضِلِ الْلِنْکَرَانِیِّ حَفِظَهُ اللّٰهُ وَ اَدَامَ ظَلَّهُ عَلٰی رِءُوسِ الْمُسْلِمِیْنَ... فَکُوْنِ الْکَاتِبُ اَحَدَ مَرَاجِعِ التَّقْلِیْدِ الْعِظَامِ، فَهٰذَا یَعْنِیْ اَنْنَا اَمَامُ نَظَرِهِ تَخْصِیْصِیْهِ، وَ اسْتِظْهَارَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَ السُّنَنِ وَ التَّارِیْخِ خَضَعْتَ لِمَمَارَسَاتِ عِلْمِیِّهِ لَا یَعْتَرِیْهَا شُكٌّ وَ لَا یَنْتَابُهَا تَرْدِیْدٌ، اِنَّهَا مَعَالِجُهُ خَبِیْرٌ مَتَخَصِّصٌ ثَبِتَ لَهٗ الْوَسَادَةُ فِی الْفِقْهِ وَ الْاَصُوْلِ وَ مَخْتَلَفِ الْقَوَاعِدِ، الَّتِیْ تَمَکَّنُهُ مِنَ اسْتِظْهَارِ اَعْمَقِ مِنَ الْاَدْلَةِ وَ انْتِزَاعِ اَصُوْبٍ وَ اَقْرَبِ اِلَى الْوَاقِعِ، وَ اسْتِیْعَابِ اَكْبَرِ لِلنَّصُوْصِ وَ الْمَدَارِکِ، وَ بِالتَّالِیِّ وَقُوْفٍ اَدْقَ عَلٰی الْاَفْکَارِ وَ الْمَفَاهِیْمِ وَ الْمَعَارِفِ الْاِسْلَامِیَةِ... فَسُئِلَ بِهٖ خَبِیْرًا... ١، وَ فِی هٰذَا قِیْمَةٌ اٰخَرٰی تَجْعَلُ الْقَارِئَ یَتَنَاوَلُ هٰذِهِ الْمَادَّةَ بِاطْمِئْنَانٍ اَكْثَرَ لِنَقَائِهَا وَ سَلَامَتِهَا سِوَا لِتَلَقُّیْ اَوْ الْمَحَاجَّجَةِ، وَ الْاَمْرُ فِی هٰذَا الْاِطَارِ - مِمَّا شَح

وقل وجوده في عصرنا الحاضر الذي تشعبت فيه الفروع الفقهيّة، و توسّعت أبواب ما يتلى به الناس من مستحدثات المسائل، فلم تترك للعلماء متسعاً في الوقت يتعرّضون فيه لمباحث من قبيل ما انبرى له الشيخ الفاضل حفظه الله و صاحبه الشيخ الإشراقي تغمّده الله بواسع رحمته. وقد أخذنا هذا المنهج-تعرّض الفقهاء المراجع لمباحث خارج إطار الدراسات الحوزويه الطويله، أى الفقه والأصول و متعلقاتهما كالبحث و الكتابه في التفسير(غير آيات الأحكام)و الحديث و الكلام و الفلسفه و الأخلاق، بل معالجه عموم المتطلّبات المستجده في المجتمع الإسلامى التي تمسّ عقائد المسلمين و حركتهم-أخذه عن استاذهما الإمام الخمينى قدس الله نفسه الزكيه(و ممّا يجدر ذكره أنّ الشيخ شهاب الدين الإشراقى هو صهر الإمام)الذى لا تزال مؤلفاته في تلك الأبواب تثرى المكتبه الشيعيه و تسدّ ثلمه كبيره فيها، فقد فرغ الإمام قدس سره نفسه في إحدى المرات لفته امتدّت أشهراً، معتزلاً-البحث و التدريس الحوزوى، للردّ على بعض الكتب التي مسّت أهل البيت عليهم السلام و نالت من عقيدته الإسلاميه الصحيحه (1).و نحن في هذا العصر أشدّ ما نكون بحاجة إلى كتابات ينهض بها متخصصون من علماء الحوزه ممّن نشأ في أكناف علوم أهل البيت

ص: ٦

١- ١) أَلَفَ الإمام الخمينى قدس سره كتابه «كشف الأسرار»ردّاً(في نهايه القوّه و غايه الإيقان)على كتاب «أسرار هزار ساله»الذى قذف مؤلّفه الشيعه بالخرافه و الشرك و البدعه،و نال من عقيدتهم في الشعائر الحسينيه و التوسّل بالأئمّه الأطهار و بناء مراقدهم و زيارتها،و طعن في كثير من علماء الدين و سخّر منهم...

و ترعرع على مائده آثارهم و تراثهم، ينهل من النبع الصافى و يتزوّد من معين لا- ينضب، لتقطع الطريق على الالتقاطيين الذين نُسبوا إلى الوعى و التنوير، و أخذوا يخوضون فى علوم يفتقرون إلى الإحاطه بمبادئها و أولياتها فضلاً عن التسلّط على أصولها و ناهيك عن الإبداع و الاجتهاد فيها، فيشرّقون و يغزّبون، و يخلطون الغثّ بالسمين و تُعرض سمومهم- عن قصد و غير قصد- فى لفافات من الصيت و الصخب الإعلامى، بطباعه فاخره و أسماء رنّانه صنعتها الصحف و المجلّات لا مقاعد التحصيل و كراسى التدريس!... فينخدع بها البسطاء، و يأخذها المستضعفون من أيتام آل محمّد الذين حُجّبوا عن لقاء إمامهم عليه السلام و حُرّموا التزوّد منه و الأخذ عنه، بينما الساحة تتطلّع لنتاج خالص هو الأقرب فالأقرب لما يريده ذاك المغيّب صلوات الله عليه من فكر و عقيدة و موقف، و تتحرّق شوقاً لبصيص نور يشير إلى تلك الناحية المقدّسه، و لعمري ما أراه سينبعث إلّا من نوابه و أمنائه على رعيته «أولئك الذين نفروا حتّى بلغوا حقيقه التفقّه و أصبحوا منذرين صادقين لقومهم و شعبهم» (١)، بعيداً عن كدر الماديه الجوفاء و التغريب الأخرق، و التلفيق الذى لا يُبقى للإسلام فيما يطرحه من الفكره و المفهوم إلّا الاسم! فنسأل الله أن يكون هذا العمل طالع خير و يُمن، و يكون بمثابة قطر يتلوه غيث منهمر... و قد جاء أسلوب الكتاب مُبسّطاً، متجنّباً المصطلحات و العبارات المعقّده، مستأنساً بآراء علماء آخرين، مُقتصراً البحث على موضوعه-

ص:٧

(١-١) من بيان الإمام الخمينى قدس سره للحوزات العلميه، المعروف ب«بيان رجب ١٤٠٩هـ».

آيه التطهير-دون إطاله و إسهاب مُمل أو تشعب يُشتت التركيز...

ليكون سهل التناول على مختلف المستويات، و من الواضح أنّ الكاتب تحاشا استعراض مقدراته العلميه، و عزّف عن التفنّن في استعمال إمكانياته و ملكاته في سطحها العالى حيث وضع نصب عينيه مستوى المُخاطَب، و اكتفى من المعالجه العلميه بالقدر الأدنى الذى يخدم إثبات الفكره و تحقيق الهدف من البحث ليس إلّا، موفراً للقارئ جهداً كان سيهدره فيما لا يعنيه، و للفكره نجاه من الضياع فى مطاوع قد يتيه فيها. و بعد، فإنّى أنصح القارئ الكريم بالتأنى فى مطالعه الكتاب و عدم استباق فصوله (حتى لا يقع فيما وقعت فيه من العجله فى جولتى الأولى معه قبل أن أعزم على ترجمته، إذ كانت التساؤلات تترى فى ذهنى، و أسجلها مؤاخذات على الكتاب عند ما لا أجد المعالجه المطلوبه لها، ثم لا ألبث قليلاً حتى الاقى فى الفقرات أو الصفحات التاليه بغيتى و أعثر على ضالتي!)، إذ سيجد لكلّ تساؤل مكانه من الإجابه و الردّ، و سيرى أنّ البحث قد أحاط بكلّ الحثيات و الزوايا المتعلقه بالموضوع... كما سيلمس العارفون نفحه معنويه و مسحه روحيه خاصه صبغت الكتاب، استمدّها المؤلّف - كما حدّثنى بذلك شخصياً - من تويّله بمولاتنا فاطمه المعصومه عليها السلام (1) من أجل أن يرى هذا الكتاب النور، لذا فإنّ الكتاب ينفرد بموقع خاص فى نفس الكاتب يميّزه عن بقيه مصنّفاته و مؤلّفاته و إن فاقته محتوى و جهداً علمياً.

ص: ٨

١- ١) بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، التى تتشرّف الحوزه العلميه فى قم المقدّسه بمجاوره مرقدّها الشريف.

أما موضوع الكتاب، أى البحث فى آيه التطهير: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ١ فإلى جانب ما تناوله من دلالة هذه الآية و ما تنطوى عليه من معانٍ و تحويه من أسرار تشكّل فى مجموعها رساله تامّه للباحثين عن الحقّ، و الساعين لمعرفة طريق رضا الله و منهج الوصول إلى سنّه رسوله، رساله فى الولايه التى ما نودى بشيء كما نودى بها، فهى «ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأنبياء و رضا الرحمن» (١)...فإنه يعنى شيئاً آخر لعلّه خفى على كثيرين، هو التعارض الموهوم الذى افترضوه بين المناداه بالوحده الإسلاميه و الدعوه لها، و التمسّك بولاء أهل البيت و الرسوخ التامّ فى العقيدته الإماميه الحقه...فتعزّض الكاتب- و هو أحد أبرز تلاميذ الإمام الخمينى، رائد الوحده الإسلاميه و أكبر المنادين بها فى عصرنا الحاضر- لهذا الموضوع و الدخول فيه على هذا النحو، يعنى فيما يعنى عدم التعارض بين المقولتين، و أنّ الوحده التى أرادها الإمام الراحل، و المنهج الصحيح فيها هو الوحده السياسيه، و التقاء جميع الفرق و المذاهب الإسلاميه على جهاد أعداء الدين الإسلامى المبين من الشرق و الغرب و الأنظمه الظالمه العميله لهما، و هكذا عدم إثارة الاختلاف و تكلف النزاع المنجز إلى فتنفسلوا و تذهب ربحكم ٣... لا التفريط فى المعتقدات الحقه المنتهى إلى تميع الأفكار و العقائد، و لبس الحق

ص: ٩

١-٢) تفسير العياشى ١:٢٠٥ ح ٢٠٢، بحار الأنوار ٢٣:٢٩٤ ح ٣٣.

بالباطل من خلال تدليس قد يطمس معالم الهدى و يساهم -و العياذ بالله- في إضلال الأمة، و لعلَّ فيها طالب حقَّ يسعى لما يسكن روعه، و يلتقى بالفطره التي زينها الله في قلبه من حبِّ آل محمّد و ولايتهم و لكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمانَ و زينَهُ في قلوبكم ١، أو مؤمناً موالياً بحاجه لما يربط على قلبه و يثبت عقيدته و يرسخ ولاءه... الأمر الذي يدخل في صميم الدور الرسالي لعلماء الدين. من هنا نجد الإمام الخميني قدّس الله سرّه ينهض بهذا الدور و يباشر هذه المسئوليه على امتداد مسيرته، حتّى ختم حياته و زين مطلع وصيّته للأئمّه الإسلاميه بحديث الثقلين إذ يقول: «إنَّ حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين و قد نقل في كتب السنّه -من الصحاح السنّه إلى الكتب الأخرى- بألفاظ مختلفه و موارد متكرّره، متواتراً عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و هذا الحديث حجّه قاطعه على جميع البشر خصوصاً مسلمي المذاهب المختلفه، و يجب على كلّ المسلمين الذين تمّت الحجّه عليهم أن يقدموا الإجابه عن ذلك، و إذا كان ثمّه عذر للجاهلين غير المطلّعين فلا عذر لعلماء المذاهب». و يقول رضوان الله عليه في مقطع آخر من الوصيه: «نحن فخورون بأنّ مذهبنا جعفرى و أنّ فقهنّا، هذا البحر الزاخر، هو أحد آثاره، و نحن فخورون بكلّ الأئمّه المعصومين عليهم صلوات الله، و نحن ملتزمون باتّباعهم». و لَمّا كان الكتاب قد ألف قبل فتره بعيدة، فقد طلبت من سماحه

الشيخ مدّ ظلّه ملاحظه صياغه بعض العبارات و إدخال شيء من التعديلات، كما اقترحت عليه تغيير اسم الكتاب، فقد نُشر في طبعته السابقه باسم «أهل البيت أو الشخصيات اللامعه في آيه التطهير» ففضّل و استجاب مشكوراً...و إلى جانب ترجمه، قمت بتخريج بعض الروايات و النصوص المنقوله و إرجاعها إلى مصادرها، و تعديل مصادر أخرى-مذكوره في الأصل- إلى طبعاتها الجديده المتداوله، و لما كانت أغلب التخريجات مُجمله مكتفيه باسم الكتاب أو الجزء دون ذكر رقم الصفحه فقد قمت بتفصيلها، بالإضافه إلى توضيح بعض ما احتملت غموضه على القارئ، و حيث إنني قمت بإدراج تعليقات المؤلف في المتن نفسه و نقلتها من الحاشيه و ضمّنتها الأصل؛ لذا فإن كلّ ما في الهامش يرجع إلى ترجمه لا التّأليف، و اكتفيت بذكر الأمر هنا على التوقيع في ذيل كلّ تعليق... نسأل الله لسماحه الشيخ الصّحّه و العافيه و دوام التوفيق؛ ليرفد الأُمّه بالمزيد من النتاجات العقائديه و الفكرية إلى جانب ما يضطلع به من أعباء و مسؤوليات الإفتاء و المرجعيه، إنّه سميع مجيب. كتبها/عبّاس نخعي

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (الأحزاب) (٣٣) تُعَدُّ هَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ -وَفَقَّأَ لِرَوَايَاتِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ- مِنْ أَشْهُرِ مَا نَزَلَ فِي وَاقِعِهِ مَعَيْنَهُ تَخَصُّ ثَلَاثَةً خَاصَّةً مِنْ أَقْرَبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلا رَيْبَ فِي دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَفْضَلِيَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَطَهَارَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ. إِنَّ خِلاصَهُ مَدْلُولٌ هَذِهِ الْآيَةِ دَرَرٌ مَرصِعُهُ بِالْفِضِيلَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْكَفَاءَةِ، وَاسْتِحْقَاقُ مَرْتَبَةِ الْخِلاَفَةِ الْعَظْمَى، إِنَّ آيَةَ التَّطْهِيرِ تَخَصُّ بِالذِّكْرِ اناساً يَسْمُونَ فَوْقَ افقِ الْإِنْسَانِيَةِ حَتَّى الْكَامِلَةَ مِنْهَا، وَيسْبِحُونَ فِي فِضَاءِ لا يَرْقى إِلَيْهِ أَحَدٌ، لا مَلِكٌ مَقْرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مَرسَلٌ وَلا صَدِّيقٌ وَلا شَهِيدٌ... وَإن قُلْنَا: إِنَّ هَذِهِ الصِّفْوَةَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَمَسَّ كَوَا بِهِذِهِ الْآيَةِ، وَاثْبَتُوا عَلَى أُسَاسِهَا فِي عَشْرَاتِ الْمَوَارِدِ تَفَوَّقَهُمْ وَأَفْضَلِيَتَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ، لَمَّا كَانَ قَوْلُنَا جِزَافاً...

لقد سمّرت هذه الآيه الشريفه أعين ذوى البصائر صوب قمم العصمه و الطهاره، و كبحت المتعصّين بلجام عصبيتهم، و أعتهم عن التنكّر لأفضليه أهل البيت عليهم السلام و أحقيتهم و كمالهم، و من هناك حيث يطلع طلب الحق الذين تخلّصوا من جمود التعصّب، تتجلى أحقيتهم صلوات الله عليهم. و الوقوف على دلاله هذه الآيه الكريمه و الإحاطه بمفادها العميق يتطلّب المزيد من الدراسه و التحرى و التحقيق، و للوهله الأولى- إذا ما صرفنا النظر عن الروايات- نرى أنّ البحث ينبغي أن ينصبّ على نكات خمس رئيسيه جديره بالاهتمام: النكته الأولى: كون الآيه الكريمه قد ذكرت خلال آيات خاطبت زوجات النبي صلى الله عليه و آله، و عند التدقيق يتّضح أن لا- علاقه لها بهاتيكن النسوه. النكته الثانيه: المفارقة التي تسجّل حول الآيه بلحاظ شأن نزولها من جهه، و قد نزلت بصوره مستقلّه فى مورد خاصّ، و كان محلّ نزولها بيتاً من بيوت نساء النبي صلى الله عليه و آله، و من جهه أخرى ترتيبها فى طريق التدوين، الذى تخلّل آيات تتحدّث عن نساء النبي صلى الله عليه و آله بحيث جاءت مقحمه فى سياق: وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ١ . النكته الثالثه: البحث فى المقصود من «الإراد» فى قوله تعالى:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ... . النكته الرابعه: ما هو «الرجس» فى النظره القرآنيه؟ ليكون مبيناً لنفى الرجس بصوره مطلقه فى الآيه الشريفه. النكته الخامسه: البحث فى عباره «أهل البيت» هل هى اصطلاح خاص أم أن لها مفهوماً عاماً يشمل جميع أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله، أم أنها من العناوين المشيره (١) التى لا- يلحظ فيها المفهوم؟ وبعبارهُ أُخرى: هل عبارهُ «أهل البيت» ملحوظه بالمعنى الوصفى فى الآيه الشريفه أم أنها مشيره إلى جماعه معينه؟

ص: ١٥

١ - ١) العنوان المشير: عنوان لا- موضوعيه له، يشير إلى موضوع ما. مثاله إذا قيل: احترم الشخص الذى يرتدى العباءه فى المجلس، فإنّ واجب احترامه يبقى قائماً و إن نزع العباءه... و هنا يكون لبس العباءه عنواناً مشيراً. و يكاد هذا الأمر أن يكون أبرز ما تناوله هذا الكتاب بالبحث، و صلب الابتكار الذى لجأ إليه المؤلفان فى معالجه الآيه و تفسيرها... و ستجد تفصيله فى الصفحه ١٢٥-١٣١ من هذا الكتاب.

لا ريب فى أن هذه الآيات نزلت فى المدينه؛ لأن جميع آيات سوره الأحزاب مدينه، خصوصاً الآيات التى كانت نساء النبي صلى الله عليه وآله هنّ المخاطب فيها؛ لأنهنّ إنّما دخلن فى عصمه النبي صلى الله عليه وآله و أصبحن أزواجه فى المدينه. إذن ثمه ظنّ قوى هنا بأن الآيه نزلت فى أواخر حياه النبي صلى الله عليه وآله حين كان صلى الله عليه وآله ذا أزواج عديده، الأمر الذى اتفق للنبي صلى الله عليه وآله فى أواخر أيامه، و على القاعده فإن جميعهنّ أو أكثرهنّ بقين فى عصمته، ثم حظيت و تشرفت كلّ واحده منهنّ بعد وفاته بلقب «أمّ المؤمنين». من الواضح أنّ هذه الآيات التى تخاطب الزوجات لقضيه هامّه و توجه إليهنّ نصائح قيمه، و تذكرهنّ بأمور مفيده، تريد رسم منهج تربوى خاصّ لهذه النسوه يحصّينهنّ من الإضرار بالإسلام و المسلمين، لما يمكن أن يؤدّينه من دور فى مستقبل الإسلام بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، و لما يحتمل أن يؤثّر فيهنّ من عناصر التخريب فى ظلّ الاعتماد و التمتع بلقب «أمّ المؤمنين»، فيضلنّ الأئمّه التى لم تواكب وقائع عهد النبي صلى الله عليه وآله عن قرب، و ظلّت تعاني الجهل بحقائق تلك الفتره. إذ إنّ التوجه إلى هذه الآيات و العمل بالنصائح و الإرشادات التى تحويها سيحدّد

تكليفهنّ الصحيح، و يحول دون ارتكابهنّ ما يعرقل المسيره و يعيق دور الزعماء الواقعيين للإسلام، فلا يكن سبباً لانفصام عرى الدين و اسسه. تبدأ الآيه الأولى بمخاطبه نساء النبي صلى الله عليه و آله بتذكرهنّ أنّ حبّ الدنيا، و الافتتان بالحياه الماديه و زينتها لا يتناسب و مقام الزوجيه لرسول الله صلى الله عليه و آله، و تدعوهنّ لعدم التشبث بالافتخار بهذا المقام، و اتخاذ موقف عملي و واقعي بالانفصال عن رسول الله صلى الله عليه و آله بالحسنى. يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحُكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ١. و تذكرهنّ الآيه الثانيه إن كنّ على استعداد لمجاراه رسول الله صلى الله عليه و آله فى حياته المنقطعه إلى الله و التى أوقفها للآخره، و أردن مواصله الحياه الزوجيه معه صلى الله عليه و آله على هذا الأساس، فإنّ هذا مدعاه فخر و اعتزاز لهنّ و باعث لبلوغ أعظم الأجر. وَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ٢. ثمّ تستعرض الآيه الثالثه حساسيه و خطوره أفعالهنّ، و الموقع المتميز الذى اختصت به أعمالهنّ، فليس شأنهنّ و حسابهنّ مثل غيرهنّ من النساء إن أتين بالمعصيه أو الفاحشه الميئنه، بل إنّ موقعهنّ من رسول الله صلى الله عليه و آله يجعل الحساسيه مضاعفه، و بالتالى فالعقاب مضاعف أيضاً. يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا

الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١. و تبين الآيه الرابعه الجانب المقابل لما جاءت به الآيه الثالثه، فالتزام التقوى و خلوص العبوديه لله سبحانه و الامتثال المطلق لرسول الله صلى الله عليه و آله و عمل الصالحات يوجب الأجر و الثواب المضاعف أيضاً، كما أوجب اجتراح الفواحش و الانصراف إلى الدنيا و زينتها العقاب المضاعف. وَ مَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ اللَّهُ وَ مَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ اللَّهُ وَ تَعْمَلُ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ٢. أما الآيه الخامسه فإنها تصرّح بالتحذير و التذكيره، فلا ينبغي له أن يقسن أنفسهنّ بغيرهنّ من النساء في أمر الحياه المعيشيه، فإن اتقين الله و تجنبن معصيته و لم يلجأن إلى الحيل و الأساليب الملتويه فإن الله هو المثيب و المجازى. و لا ينبغي له أن يقارن أنفسهنّ بغيرهنّ، و يجب أن يسلكن الغايه في الاحتياط حتى في أسلوب و طريقه الكلام التي يجب أن تتنزّه عن الخضوع في القول، و ما قد يبعث على طمع من في قلبه مرض، فالحرمة مضاعفه و الحظر و التقييد ينبغي أن يكون مضاعفاً يا نساء النبيّ لستين كآخيد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض و قلن قولاً معروفاً ٣.

و فى الخاتمه يحدّد مطلع الآيه السادسه دورهنّ الاجتماعى و واجبهنّ تجاه المجتمع الإسلامى، فليس من دورهنّ الظهور فى المحافل العامه، و لا التدخّل فى القضايا السياسيه للمسلمين، بل عليهنّ التزام بيوتهنّ و إطاعه الله و رسوله و إقامه الصلاه و إيتاء الزكاه. وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ١. إذن فالآيات الموجهه إلى نساء النبي صلى الله عليه و آله لا تثبت لهنّ أيه فضيله بل تحرّضهنّ على كسب الفضائل، و تقوم بتعريفهنّ بما يجب على امرأه مسلمه تريد أن تكون زوجة للنبي صلى الله عليه و آله و تتمتّع إلى يوم القيامه بهذا الشرف، و قد جاءت هذه الإرشادات لتقطع الطريق على تماديهنّ و تدخّلهنّ فى القضايا الإسلاميه العامه و الحساسه ممّا أوكله الله و رسوله صلى الله عليه و آله إلى رجال الإسلام فى مستقبله، فلا تذهب بهنّ الظنون و تسوّل لهنّ أنفسهنّ أنّهنّ ورثن الملك و حقّ سياسه الدوله الإسلاميه لكونهنّ أزواج النبي صلى الله عليه و آله. و هذه الآيات لا تعنى بأى حال تعلق الإراده التكوينيّه (١) للبارى عزّ و جلّ بطهاره نساء النبي صلى الله عليه و آله أو عصمتهنّ أو نزاهتهنّ و استقامتهنّ، حيث دفعت كلمه «تردن» فى الآيه أى احتمال للإراده الإلهيه التكوينيّه بهذا الصدد، و ألقّت عبء اكتساب الكمالات التى وعدت بها الآيات على عواتقهنّ و سعيهنّ، إذ عرضت عليهنّ: إن كنّ يردن عَرَضَ الدنيا المهلك فعليهنّ الانفصال عن رسول الله صلى الله عليه و آله، فإنهنّ لا يلقن بشرف الاقتران به، و إن كنّ يردن الله و رسوله فإنّ لهنّ أجراً عظيماً، فالذات

ص: ٢٠

١-٢) سيأتى البحث مفصلاً فى معنى الإراده التكوينيّه فى ص ٩١.

الإلهيه المقدّسه إذن ليست لها إرادته استثنائية بالنسبه إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله، والأمر راجع إليهنّ وإرادتهنّ الخاصّه فى الوضع والحال الذى يكن عليه من السعاده أو الشقاء، بل أرشدهنّ إلى اتّباع سبيل الخير والصلاح ليحظين بالأجر المضاعف، وحذرهنّ إن سلكن طريق الاعوجاج فإنّ لهنّ عقاباً مضاعفاً، فالأمر إذن إليهنّ فى تحديد المنهج الذى يبين حياتهنّ على أساسه. وعلى ما سبق نستخلص من هذه الآيات الشريفه نتيجتين مهمّتين: ١- فصل و عزل نساء النبي صلى الله عليه وآله عن أى دور فى القضايا الاجتماعيه الحديثيه و شؤون المسلمين العامه، وأمرهنّ بانتهاج خطّ سلمى يمضى بالتى هى أحسن، و اتّخاذهنّ دور ربّه البيت المنصرفه إلى شؤون بيتها و تهذيب نفسها بالفضائل بعيداً عن الأهواء الدنيويه الشيطانيه. ٢- انتفاء الدلاله على تعلق الإراده الإلهيه بنزاهه نساء النبي صلى الله عليه وآله و كونهنّ حاله متميزه و متفوّقه، ففى هذا المضممار لهنّ الخيار، إلّا أنهنّ إن أرذن الاحتفاظ بشرف اللقب فعليهنّ اتّخاذ طريق الصلاح.

الآيه الخاصه، آيه التطهير:

فى معرض هذه الآيات نلتقى بجمله معترضه تحكى تعلق المشيئه والإرادته الربّانيه بأمر عظيم، فيتغيّر أسلوب الحديث و شكل الخطاب الإلهى فى هذه الجمله، فالحديث يدور حول مشيئه البارى تعالى و إرادته التكوينيّه، و مفاد هذه الجمله هو: حتم القضاء و حكم بوجود بيت و أسرته تسمو فوق قمم الفضيله و الطهاره و أعلى مراقى الإنسانيه

و القدره و الكفاءه...ففى جمله قصيره-تغير فيها ضمير جمع المؤنث إلى جمع المذكر «كم»-يقول سبحانه و تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. فقد قضت إرادته الله أن يكون أهل البيت عليهم السلام-الصفوه من بيت النبوه-هم الوحيدين المنزهين عن كل نقص و عيب و سوء و رجس، و أن تشع فى نفوسهم و أرواحهم أنوار الطهاره و الصفاء التى لا تزول، نراه و طهاره تمكن الدين القيم من العطاء النقى الخالص إلى الأبد. إذن نحن هنا أمام الكلام فى الإراده التكوينية و القضاء المحتوم، إرادته انبعث بيت و أسرته، فى أعلى مستويات الإنسانيه البعيده عن الزلل و الخطأ و الانحراف و التحريف و الأمراض النفسيه و الخصال القبيحه، و كل عيب أو نقص...المتحليه بجميع الكمالات من الصفاء و الطهاره و التقى و الزهد، و كل فضيله و كمال نفسى و روحى...و من البديهي أن قضاء الله و إرادته الأزليه لم تتعلق بهذا الأمر عبثاً و لغواً، بل هى مقدمه لإعداد هذه الوجودات القدسيه لدور إسلامى خطير ما هو إلا قياده المسلمين و هدايتهم (1).

ص: ٢٢

١ - ١) لا- يخفى بأن المقصود هو النهوض بدور رسالى فى هدايه الأئمه، و هو أعتم من الإمامه و القياده السياسيه، و هذا الدور يتطلب العصمه و الطهاره، فالزهراء عليها السلام لم تكن إماماً و لكن الآيه شملت لها الدور الذى أوكل بها على صعيد الدفاع عن الإمام بعد النبى صلى الله عليه و آله و النهوض بمخاصمه القوم و محاججتهم، أو بلحاظ كونها الوعاء الطبيعى لاستمراريه خط الهدى عبر الأئمه عليهم السلام من ولدها...و سيشير المؤلف-حفظه الله-إلى شىء من خصوصيات الزهراء عليها السلام و موقعها فى الآيه الشريفه فى آخر الكتاب.

و على هذا، فإن هذا الخطاب لا يمكن أن يشمل نساء النبي صلى الله عليه و آله بدليلين -فضلاً عن الأدلة الأخرى التي سيأتى بيانها لاحقاً- هما: ١- لا دلالة في الآيات المتعلقة بنساء النبي صلى الله عليه و آله على إرادة الله سبحانه تنزيههن، بل إنها صرحت من خلال كلمة «تردن» بأن أمر بلوغ مرتبه الأجر المضاعف أو نيل العقوبة المضاعفه منوط بهن و بإرادتهن الخاصه، فإن إرادتهن لها المدخلية التامة فى مصيرهن، و مع ثبوت هذا الأمر لا يعود لفرض دور فى تدخل الإرادة الربانية بشكل تكوينى خصوصاً لصالح نزاهتهن و طهارتهن أى معنى. و بعبارة أوضح: كيف يمكن أن تتعلق الإرادة الإلهية المحتومه بنزاهه نساء النبي صلى الله عليه و آله و طهارتهن من كل الخبائث و الأرجاس، مع أن الآيات صرحت باحتمال انصرافهن إلى الدنيا و سقوطهن فى حبال زينتها مما لا يجتمع و شأنه الاقتران برسول الله صلى الله عليه و آله؟ بحيث طالبتهن تلك الآيات الشريفه بالتخلّى عن رداء الفخر و الاعتزاز، الذى نلنه بمقام الزوجيه إذا ما اخترن طريق الدنيا؛ ليصبح شأنهن كسائر نساء المسلمين دون امتياز و فخر يضيفه لقب «أم المؤمنين»، هل يتوافق هذان الأمران و يقبلان الاجتماع و الالتقاء فى موضوع واحد؟ كلا... و من هنا يُعلم أن نساء النبي صلى الله عليه و آله خارج دائره إرادته البارى التكوينية، التى قضت بطهاره أهل البيت عليهم السلام، و أن مصيرهن يتعلّق بإرادتهن الخاصه و سلوكهن الشخصى لا غير. ٢- إن رساله هذه الآيات الشريفه من قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ حَتَّى قَوْلِهِ: وَ آتَيْنَ الزَّكَاةَ وَ أَطْعَمْنَا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ١ هى بيان واجب و تكليف نساء النبي صلى الله عليه و آله و انحصاره بدور ربه البيت المتدينه العفيفه، لا- التدخل فى أمور المجتمع و الخوض فى القضايا السياسيه، أمّا آيه إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. فهى حاكيه عن إرادته البارى عزّ و جلّ فى خلق و إيجاد بيت و أسرته طاهره مطهره ليؤكد إليها دور و تفاعلها بها وظيفه اجتماعيه سياسيه غايه فى الأهميه، كيف يمكن إذن أن يكون هذا القسم من الآيه شاملاً- لزوجات النبي صلى الله عليه و آله؟ مع أننا نلاحظ تغييراً واضحاً فى أسلوب الخطاب الذى تحوّل فجأة إلى ضمير «عنكم» بعد تتالى عشرين ضميراً لجمع المؤنث! كانت هذه إشاره موجزه إلى أن آيه التطهير لا تدلّ على طهاره زوجات النبي صلى الله عليه و آله و نزاهتهن. و هذه النتيجة تنسجم مع رؤيه العارفين بالقرآن الكريم و أسلوبه و منهجه، فقد خلصوا إلى أن دور زوجات النبي صلى الله عليه و آله لا يتجاوز مدلول هذه الآيات التى بحشائها من التزام بيوتهن و القيام بشئونها و التحلّى بلباس التقوى. و سنتناول هنا بعض النماذج من آراء هذه الطبقة الممتازه، و من الأنسب أن تكون الرؤيه الأولى لواحد من هذه النسوة أنفسهن اللاتى

توجّه إليهنّ الخطاب في تلك الآيات، و نرى أن نقّدم شيئاً في ترجمه شخصيه هذه المرأه العظيمة.

رأى أم سلمه:

لا- بدّ لنا قبل عرض رأى هذه المرأه الصالحه في هذه القضيّه الحساسه من نقل بعض صفاتها و خصائصها دفعاً لأئى وهم قد يخذش بموضوعيتها فى تبنى رأياها من الآيات و من هذه القضيّه، و لا يحمل الرغبه التى أبدتها فى قصّه حديث الكساء محمل الهوى و رغبات النساء. بعد امّ المؤمنين خديجه الكبرى عليها السلام تأتى أمّ سلمه رضوان الله عليها على رأس قائمه النساء اللاتى كنّ يلقن زوجات للنبي صلى الله عليه و آله، لقد كانت أكثرهنّ أمانه حتّى إنّها استودعت أمانات و ودائع الإمامه، و قد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أفضلهنّ- نساء النبي صلى الله عليه و آله- خديجه بنت خويلد، ثمّ أمّ سلمه بنت الحارث» (1)، لقد كانت الوحيدة من بين نساء النبي صلى الله عليه و آله التى ما توانت عن نصره أمير المؤمنين عليه السلام و الدفاع عنه، و لم تدّخر وسعاً فى كشف الحقائق و إعلانها. و كان أهل البيت عليهم السلام يرونها أهلاً لأطلاعها و ائتمانها على أسرارهم، و هى نفسها التى نقلت عن رسول الله صلى الله عليه و آله أحاديث زاخره بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، و لم يكن تعصّب هذا و ذاك ليمنعها عن الصدع بالحقّ. و لعلّ نزول هذه الآيه «آيه التطهير» فى بيتها- باتّفاق الفريقين-

ص: ٢٥

خير شاهد على فضلها و منزلتها، و كما سيأتي في البحث حول المراد من البيت في «أهل البيت» هو بيت أم سلمة رضوان الله تعالى عليها، و هو أحد بيوت نساء النبي صلى الله عليه و آله، و قد ذكر في الآيات محلّ البحث في موردين بصيغه الجمع، و كيف كان فقد عدّ هذا البيت المبارك منبعاً و أساساً لإطلاق هذا العنوان «أهل البيت»، الذي تحوّل بعد ذلك إلى مصطلح خاص (1)، بحيث اضيفت الثله الخاصه من أسره النبي صلى الله عليه و آله المسموله بآيه التطهير إلى ذلك البيت، و هذا بحدّ ذاته أفضل شاهد على مكانه و منزله أم سلمه. و يكفي لإثبات تمتّعها بروح مطمئنه و نفس مدعنه لرسول الله صلى الله عليه و آله أنها كانت تصرّح بقول النبي صلى الله عليه و آله لها أنّ هذه الآيه لا تشملها، و أنّها ليست من أهل البيت الذين أرادتهم الآيه الشريفه. و يسعنا القول: إنّها كانت من الوثاقه و العداله و المنزله بحيث كانت أحاديثها مستنداً لكثير من أعلام الشيعة و رجالاتها فيما اتخذه من مواقف تجاه أمير المؤمنين عليه السلام، و على سبيل المثال نذكر زيد بن صوحان، الذي استشهد في حرب الجمل، و قد حضر أمير المؤمنين مصرعه فلّقاه مضرّجاً بدمه و هو في حال النزاع بوجود نفسه، فقال له:

رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المئونه عظيم المعونه، فرقع زيد رأسه و أخذ يقول بصوت خافت: «و أنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فو الله ما علمتكم إلّا بالله عليمًا و في أم الكتاب عليًا حكيمًا، و أنّ الله في

ص: ٢٦

١ - ١) بحيث انصرف المدلول المكاني للكلمه «البيت» إلى معنى علمي و مقصود معنوي و نوري خاص... و سيأتي البحث في ذلك لاحقاً.

صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهاله، ولكني سمعت أم سلمه زوج النبي صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْإِلَهِ وَ عَادِ مِنْ عَادَاهُ وَ انصِرْ مِنْ نَصْرِهِ وَ اخْذِلْ مِنْ خِذْلِهِ» فكرهت و الله أن أخذلك فيخذلني الله» (١). و تُعدّ الرسالة التي كتبها إلى عائشه في واقعه الجمل أفضل شاهد على علمها و فضلها و معرفتها بالقرآن، إلى جانب بلاغتها و فصاحتها، و أنّها امرأة عالمة عارفة بالقرآن، مطيعه لرسول الله صلى الله عليه وآله، أمره بالمعروف، ناهيه عن المنكر، معلنه للحق و ساعيه له، لا مغرضه و لا طامعه، تكنّ لأمر المؤمنين عليه السلام خالص الولاء و الوفاء، متحرّقه لنصره الإسلام و إنقاذ الأئمة من الفتنة، كتبت لعائشه تقول: «إِنَّكَ جُنَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ بَيْنَ أُمَّتِهِ، وَ إِنَّ الْحِجَابَ دُونَكَ لِمَضْرُوبٍ عَلَى حُرْمَتِهِ، وَ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ ذِيكَ فَلَ تَنْدَحِيهِ، وَ سَكَنَ عُقْبَارَكَ فَلَا تُصْحِرِيهَا، لَوْ أَذْكَرْتِكَ قَوْلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ تَعْرِفِينَهَا لَنْهَشْتَ بِهَا نَهْشَ الرِّقْشَاءِ الْمَطْرَقَةِ، مَا كُنْتَ قَائِلَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَوْ لَقِيكَ نَاصَهُ قُلُوصَ قَعُودِكَ مِنْ مَنَهْلِ إِلَى مَنَهْلِ قَدْ تَرَكْتَ عَهْيِدَاهُ وَ هَتَكَ سِتْرَهُ، إِنَّ عَمُودَ الدِّينِ لَا يَقُومُ بِالنِّسَاءِ، وَ صَدَعَهُ لَا يُرَأْبُ بِهِنَّ، حُمَادِيَاتِ النِّسَاءِ خَفَضَ الْأَصْوَاتِ وَ خَفَّرَ الْأَعْرَاضِ، اجْعَلِي قَاعِدَهُ الْبَيْتَ قَبْرَكَ حَتَّى تَلْقِيَنَهُ وَ أَنْتِ عَلَى ذَلِكَ» (٢).

ص: ٢٧

-
- ١-١) اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي: ٦٦-٦٧ الرقم ١١٩. قاموس الرجال ٥٥٧:٤-٥٥٨، بحار الأنوار ١٨٧:٣٢ ح ١٣٨.
- ٢-٢) شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد ٢١٩:٦-٢٢٠.

عند ما وصلت عائشه مع صحبها إلى البصره لإثارة الفتنة و إشعال الحرب، كتبت إلى زيد بن صوحان تؤلّبه على أمير المؤمنين عليه السلام،(و قد أثبت ابن الأثير هذه الرساله و جوابها في الكامل في التاريخ)و قد أدرجها صاحب قاموس الرجال أيضاً في ترجمه زيد (١)،و هكذا سائر كتب التراجم مع اختلاف يسير،و نحن هنا ننقل نص «الكامل»: «من عائشه امّ المؤمنين حبيبه رسول الله (!) إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان: أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ». أمّا زيد، و هو أخو صعصعه و من كبار التابعين، و هو كأويس القرني، الذي لم يحظ بصحبه رسول الله صلى الله عليه و آله و لكن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله بشره بالجنّه (٢)، و قد أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام في جهاده الناكثين في حرب الجمل، فقد كتب في جوابها: «أمّا بعد، فأنا ابنك الخالص، لئن اعتزلت و رجعت إلى بيتك و إلّا فأنا أول من نابذك» (٣). و هذا الجواب يكشف بوضوح إحاطه عموم المسلمين بوظيفه

ص: ٢٨

١-١ (١) قاموس الرجال ٤:٥٥٨.

٢-٢ (٢) قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله: يسبقه عضو منه إلى الجنّه، فقطعت يده يوم مؤته، و قتل مع عليّ عليه السلام يوم الجمل (ج ١ من الأحاديث الغيبية/ مؤسسه المعارف الإسلاميه، و قد ذكر له عشرين مصدراً).

٣-٣ (٣) الكامل في التاريخ ٣:٢١٦.

و بواجب كل فئه منهم، ففى رؤيه زيد كان يمكن لعائشه أن تكون امّاً للمؤمنين و تتمتع بمميزات هذا اللقب، إذا ما قرّرت فى بيتها و انشغلت بدور ربه البيت، و إن لم تفعل فليست للمؤمنين بأمّ و لا- يمكن لزيد أن يكون ابناً لها. لقد أشار زيد إلى ما رسمه القرآن الكريم فى آيات النساء و خطّه كمنهج و برنامج عملى لنساء النبى صلى الله عليه و آله و ذكر عائشه به، فطالبها بالرجوع إلى بيتها، و أن تترك أمر الرجال للرجال، و دون ذلك فلا حرمة لها و لا حقّ لها بالافتخار بلقب «أمّ المؤمنين»، بل إن زيدا أشار إلى وظيفه اخرى تترتب على عموم المسلمين فى مثل هذه الحالات، و هى الأخذ على يد الناكث، و سل السيف فى وجه عائشه و منابذتها حتّى يردها إلى بيتها و يجتثّ الفتنة. و يذكر الطبرى أنّ زيدا كان يقول عقب هذه الرساله: «رحم الله أمّ المؤمنين، امرت أن تلزم بيتها و امرنا أن نقاتل، فتركت ما امرت به و أمرتنا به، و صنعت ما امرنا به و نهتنا عنه» (١). و نرى هنا أنّ زيدا يعلم بأنّ الآيه الكريمه وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ تَأبى لعائشه ما تكلفته من دور، و تحظر عليها ما تصدّت له من مهمه ادّعت أنّ الوظيفه و الواجب الشرعى يمليه عليها، فركبت جملها و خرجت تدعى الطلب بدم عثمان! و هو يعلم كذلك أنّ آيه إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.. أو كلت أمر زعامه الأئمه و إمامتها لأمير المؤمنين الذى هو من «أهل البيت عليهم السلام»، و أنّ عليه نصره هذا الإمام و الدفاع

ص: ٢٩

(١-١) تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ٤:٤٧٧.

عنه حينما تشتد المحنة و يحتدم الصراع في ميادين الحروب. إن حديث و فعل زيد، كلامه و موقفه العملى، يكشف عن علمه بأن قضايا الإسلام المصيريه لم توكل إلى النساء، و بأن آيه التطهير إنما يريد الله ليذهب.. لم تطهر عائشه و لم تنزهها؛ لأنها ما نزلت فى شأنها، لذا فهو عَجِبٌ و مذهول، عَجِبَ استنكار و ذهول رفض من تصرفات عائشه. فما كان لزيد أن يتردد و يرتاب فى موقف عائشه لو أنه كان يرى أن آيه إنما يريد الله ليذهب... قد نزلت فى امهات المؤمنين و شملتهن، و أن الإراده التكوينيّه لله سبحانه و تعالى عصمتهن عن الرجس و العيب و الخطأ، و ما كان ليصف عملها هتكاً لحدود الله و مخالفه لأحكامه، و كأنى به يقول: إن عمل عائشه هو حجّه على الآخرين إذ نزهها الله، و أراد إرادته تكوينيه أزيله أن لا ترتكب خطيئته و لا خطأً، فلا يصح أن نشك فى أعمالها و نتردد فى مواقفها، و لكننا نجد فى المقابل أن جملة واحده مختصره من ام سلمه أقنعت بتولى أمير المؤمنين عليه السلام و طاعته ما قاله حال استشهاده. لما ذا يعتمد زيد بن صوحان رضوان الله عليه حديث ام سلمه فى حق على عليه السلام و يبادر فى اتخاذه حجّه، و فى المقابل يصف سلوك عائشه هتكاً لحرمت الإسلام و مخالفه للشريعة الغراء؟ هل الأمر إلّا رؤيته و فهمه بأن آيه التطهير لا تشمل عائشه و زوجات النبى صلى الله عليه و آله، و أن الرعايه الربانيّه فى العصمه و التنزيه تشمل علياً عليه السلام و بقيه أهل البيت عليهم السلام فقط، و أن ام سلمه رضى الله عنها صارت أهلاً للثقه و الاعتبار؛ لتمسكها بالوظائف و عملها بالواجبات التى شرعها القرآن الكريم لخصوص نساء النبى صلى الله عليه و آله، فبلغت

ذلك المستوى من الوثاقه بحيث ضحى الرجل بنفسه و بلغ الشهاده فى سبيل الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام اعتماداً على حديث نقلته رضوان الله عليها عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى حقّ عليّ عليه السلام و فضله؟

موقف ابن عباس:

لَمَّا هزم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل بعث عبد الله بن عباس إلى عائشه يأمرها بتعجيل الرحيل و قله العرجه. قال ابن عباس: «فأتيتها و هى فى قصر بنى خلف فى جانب البصره، فطلبت الإذن عليها فلم تأذن، فدخلت عليها من غير إذنها، فإذا بيت قفار لم يعدّ لى فيه مجلس! فإذا هى من وراء ستريين فضربت ببصرى فإذا فى جانب البيت رحل عليه طنفسه، فمددت الطنفسه فجلست عليها، فقالت من وراء الستري: يا ابن عباس أخطأت السنّه! دخلت بيتنا بغير إذنا و جلست على متاعنا بغير إذنا، فقال ابن عباس رحمه الله: نحن أولى بالسنّه منك، و نحن علمناك السنّه و إنّما بيتك الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه و آله فخرجت منه ظالمه لنفسك غاشيه لدينك عاتبه على ربيك عاصيه لرسول الله صلى الله عليه و آله فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلّا بإذنك، و لم نجلس على متاعك إلّا بأمرك...» (١). إنّ قول ابن عباس هذا—و هو حبر الأممه و مفسّر القرآن—يبين أنّ الآيات الوارده فى نساء النبيّ صلى الله عليه و آله حظرت عليهنّ التدخّل فى القضايا

ص: ٣١

(١ - ١) اختيار معرفه الرجال، المعروف برجال الكشى: ٥٧-٥٨ الرقم ١٠٨، قاموس الرجال ٤١٩:٤-٤٢٠، بحار الأنوار ٣٢:٢٦٩ ح ٢١٠.

السياسيه،و أنهم يفقدن اعتبارهنّ بل و يفقدن حتّى ما للمرأه المسلمه العاديه من احترام إذا ما تخلفن عن الالتزام بهذه الآيات و الأحكام. كانت هذه نماذج من فهم و انتزاع و عمل بعض رموز الطبقة الأولى من شخصيات الإسلام حول آيات نساء النبي صلى الله عليه و آله،ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر توخيّاً للاختصار و حذراً من الإطاله.

المهمّة و الدور الآخر:

اشاره

سبق أن بينا أن ممّا أرادت آيه التطهير هو إناطه دور و مهمّه خاصّه بأهل البيت عليهم السلام،مهمّه تتطلّب الطهاره و النزاهه فى أعلى سطوحها و أرفع مستوياتها،و سنرى أنّ هذه المهمّه ليست إلّا إمامه المسلمين و قيادتهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله،هكذا ما صرّح به أهل البيت عليهم السلام مراراً و تكراراً،و هنا سنذكر بعض النماذج التى ذكر فيها أئمه الحقّ و الهدى آيه التطهير فى معرض استدلالهم على حقّهم فيما تناولوه و تصدّوا له من مناظرات و محاججات حول الخلافه:

١- فى سقيفه بنى ساعده:

اشاره

بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله تنازع المهاجرون و الأنصار،و كان أوّل من تجمّع فى السقيفه عدّه من الأنصار من الذين نهضوا بنصره رسول الله صلى الله عليه و آله عند هجرته إلى المدينه،و كان سعد بن عباده أكثرهم سعياً لتولّى الخلافه و الاستحواذ عليها،و لكن أبا بكر و عمر لم يدّخرا

وسعاً في إيصال أنفسهما سريعاً إلى السقيفة (١) حتى لا- تذهب جهود سنين متماديه قضياها في التخطيط والعمل لهذا اليوم، تذهب أدراج الرياح باستباق الأنصار! وفي ذلك الجمع الغاصّ و المحفل الملتهب و الأجواء المضطربة بدأ أبو بكر الكلام فخطب، و كان آخر ما اقترحه أن تكون الإمرة للمهاجرين و الوزاره للأنصار، و لكن اقترحه هذا سقط بمعارضه حنّاب بن منذر الذي كان من زعماء الأنصار، و كاد الأمر أن يتمّ على هوى سعد بن عباده و وفقاً لمراده، لو لا تدخّل ابن عمّه بشير بن سعد الخزرجي في موقف مفاجئ رجّح فيه أن تكون الزعامه للمهاجرين، و أن يوكل الأمر إلى أحد رءوس قريش، و لم يكن بشير هذا على ما يرام مع ابن عمّه سعد، و ما كان موقفه يخلو من دواعي المنافسة و الحسد له، و بعد جدل و مناظره و خبط و لغو امتدّ طويلاً و وسط غوغاء و فوضى و معارضه هذا و ذاك خلعت الخلافه على أبي بكر... طرب عمر لهذا الحدث و انتشى، و رأى أنّ أحلامه السعيده في طريقها للتحقق من خلائه، و أنّه سيكون فارس الميدان و له فرس السبق في الساحة الإسلاميه، و لكن في الوقت نفسه كان هاجس علىّ عليه السلام يقضّ مضجعه، ترى هل يشمر ابن أبي طالب عليه السلام عن ساعده و يطالب بحقه؟

ص: ٣٣

١- ١) انظر شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٦:٧.

و حسماً لهذا القلق عمد إلى دار عليّ عليه السلام و اقتاده إلى أبي بكر (١)، فامتنع عليّ عليه السلام عن البيعه و أصرّ علي امتناعه، و لم يكن عمر ليخلّي سبيل أمير المؤمنين عليه السلام، فما كان من شبل ابن أبي طالب عليه السلام إلّا أن فجّرها في وجهه: «احلب يا عمر حلباً لك شطره! اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً، ألا و الله لا أقبل قولك و لا ابايعه» (٢). و هنا نعق المرتزق الأجير أبو عبيده، و لم يكن يملك من دليل لدفع الخلافه عن أمير المؤمنين عليه السلام إلّا حدائنه سنّه! و في ردّ هذه الأباطيل و الترهات نهض أمير المؤمنين عليه السلام باحتجاجه القاصم، و كان ممّا استدلّ به آيه التطهير، و هذا نصّ حديثه صلوات الله عليه: «يا معشر المهاجرين، الله الله، لا تُخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحنُ أهل البيت أحقُّ بهذا الأمر منكم. أما كان منّا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنّه، المضطلع بأمر الرعيه، و الله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بُعداً» فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبى بكر، ما اختلف عليك اثنان، و لكنهم قد بايعوا (٣).

التفاته أدبيه:

يرتكز الاستدلال هنا على نقطه أدبيه لطيفه جاءت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ يقول سلام الله عليه: «نحنُ أحقُّ بهذا الأمر» و هي جمله

ص: ٣٤

١ - ١) هذا قول ابن أبي الحديد، و الكلام ليس في معرض البحث حول بتر التاريخ و تحريفه، و إلّا فالمقام ملئ بما ينبغي بيانه حول هذه الواقعة الأليمه...

٢ - ٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١١: ٦.

٣ - ٣) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١٢: ٦.

اسميه ذات مبتدأ و خبر تخلّلتها عباره «أهل البيت» و قد وردت في حديث أمير المؤمنين عليه السلام بفتح «أهل» على ما ورد في نقل ابن أبي الحديد، خلافاً للقاعده النحويه التي توجب رفع «أهل» على البدليه، و هذا ممّا يدلّ على الاختصاص و إشارتها للآيه الكريمه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ.. كما جاءت في الآيه منصوبه للاختصاص، من قبيل قوله «نحن معاشر الأنبياء...» (١) حيث جاءت «معاشر» منصوبه للاختصاص و إفاده الحصر. من هنا يصبح معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام هو: إنّنا أهل البيت - و لا - غير - أحقّ منكم أيها المهاجرون بالزعامه و الخلافه، و أنّه ثوب لا - يليق إلّا بنا على نحو الحصر و وجه التعيين، كما ذهبت الآيه فيما قرّرته من أنّ الطهاره و بالتالى الزعامه محصوره و مختصّه بأهل البيت، و هكذا نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام و هو في معرض الاستدلال و المحاججه على أحقيّته بالخلافه في ذلك المحفل المُصطنع و أمام ترهات أبي عبيده، يكتفى بالاحتجاج بآيه التطهير لإثبات حقه، مع المندوحه و السعه و ما هو مبذول لديه و مبثوث في أيدي المسلمين من فضائل و كمالات و مرجحات تشكّل شهادات و براهين قاطعه على أعلميته و أعدليّته و أقربيّه من رسول الله صلى الله عليه و آله، و بالتالى وجوب و ضروره تقدّمه و تأخر غيره... مع كلّ ذلك نجد سلام الله عليه يكتفى بسوق هذه الآيه و الاحتجاج بها، و قد كانت دلالة هذه الآيه من الوضوح و التسالم بحيث عقب بشير بن سعد قائلاً: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ

ص: ٣٥

قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا.

٢- في الشورى:

يروى السيد هاشم البحراني قدس الله نفسه الزكية - وهو من أجله علماء و محدثي القرن الحادي عشر و أوائل القرن الثاني عشر الهجري، و له مؤلفات كثيرة، منها تفسيره المعروف «البرهان» - في كتابه «غايه المرام» في الصفحة ٢٦٥ عن ابن بابويه القمي حديثاً معتبراً عن عامر بن واثله، و هو من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و ضمن تلك الروايه نلمح هذه العبارة، ثم ذكر ما احتج به أمير المؤمنين عليه السلام على أهل الشورى، فقال في ذلك: نشدتكم هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً...؟** قالوا: اللهم لا **(١)**. و يلاحظ هنا أن أسلوب المولى سلام الله عليه في المحاججه لا - يكتفى بالتقرير بل يأخذ شكل الاستفهام، و أنه يدين القوم بألسنتهم و بما لا - يمكنهم إنكاره، فيقول: هل نزل في أحد منكم آية التطهير؟ إذن فإمامنا العزيز سلام الله عليه أشار في موضعين حساسين إلى الآيه الكريمه، و أنها تثبت استحقاقه و تعيين الأمر فيه بمفهوم: أن آية التطهير حسمت مسأله القياده، و أن من قصدتهم الآيه هم الوحيدون

ص: ٣٦

١ - ١) في كتاب الاحتجاج للطبرسي هناك روايه أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام في احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام على الستة أصحاب الشورى، يذكر فيها أمير المؤمنين عليه السلام آية التطهير في جمله ما احتج به على القوم، ج ١ ص ١٩٢.

القادرون على إمامه المسلمين و النهوض بزعامتهم: الأول: عند وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله، و في خضم تعيين الخليفة، و لم يكن قد مضى الكثير في ذلك الحين من زمن نزول الآية. الثاني: في شوري عمر السداسيه التي أوكل إليها تعيين الخليفة من بعده، و تمكّن بالاحتياي بها من إقصاء عليّ عليه السلام عن حقّه مرّه ثالثه هناك في تلك الشوري، التي تشكّلت بعد ثلاث عشره سنه تقريباً من وفاه النبيّ صلى الله عليه وآله، و ثلاث عشره سنه و بضعه شهور على نزول آيه التطهير، نجد أنّ علياً عليه السلام يذكّرهم بها، و يطرح من جديد أولويته بخلافه رسول الله صلى الله عليه وآله و انفراده دونهم بهذا الحقّ من خلال التذكير و الاستدلال بآيه التطهير الشريفه.

٣- في خلافة الإمام الحسن عليه السلام:

عند ما آلت الخلافة إلى السبط الأكبر الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام قام خطيباً فقال: «أيّها... الناس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله... أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، و أنا ابن الداعي إلى الله، و أنا ابن السراج المنير،... و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّهم تطهيراً» (١). نرى هنا كيف أنّ ثاني أئمّه المسلمين في معرض استدلاله على كفاءته و لياقته لمسند الإمامه و الخلافة يشير-فضلاً عن تميّزه النسبي-

ص: ٣٧

١- (١) الأمالى للشيخ الطوسى: ٢٧٠ ح ٥٠١، بحار الأنوار ٣٦١: ٤٣ ح ٣.

إلى آيه التطهير و يستشهد بها.و لو لم تكن هذه الآيه فى معرض تعريف و تحديد خصائص القائد و مميّزاته و ما يجب أن يتحلّى به من العدالة و العصمه و البراءة من كلّ عيب و نقص لما استدلّ و استشهد بها ثانى أئمه الهدى صلوات الله عليه لإثبات حقّه و مشروعّيّه تصدّيه لهذا المقام. إنّ هذه الشواهد الحيّه تفيض دلالة على مكانه أهل البيت عليهم السلام و اختصاصهم بالولاية و الإمامه، و خروج الزوجات من هذا العنوان...

النكته الثانيه:البحث فى شأن نزول الآيه و ترتيبها

اشاره

ستتعرض فى هذا المبحث لأمرين مهمين:١-هل جمله إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. نزلت بصوره منفصله عن آيات النساء،أم أَنها جاءت فى سياق تلك الآيات و أعقبتهن؟٢-و إن كان نزولها منفصلاً،فلما ذا جاء ترتيبها بعد آيه وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ و لم تنفرد بآيه مستقله؟

١-استقلاله جمله

اشاره

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. حَتَّى نَقِفَ عَلَى مَوْجِعِ الْآيَةِ مِنْ حَيْثُ الْإِسْتِقْلَالُ وَالْإِنْفِصَالُ، لَا بَدَّ أَنْ نُرَكِّزَ التَّحْقِيقَ عَلَى شَأْنِ النُّزُولِ، إِذْ سَيَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ جُمْلَةَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. نَزَلَتْ فِي شَأْنِ خَاصٍّ وَ لِقَضِيَّهِ هَامَّةٌ، وَ وَاقَعَهُ وَ ظَرْفَ زَمَانِي وَ مَكَانِي مُنْفَصِلًا تَمَامًا عَنِ ظَرْفِ آيَاتِ النِّسَاءِ، وَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ لَا سَبِيلَ لِلْبَحْثِ فِي شَأْنِ النُّزُولِ إِلَّا بِتَتَبُعِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنِ طَرُقِ الْعَامَّةِ وَ الْخَاصَّةِ. وَ غَايَةُ مَا نَسْتَفِيدُهُ مِنَ الْبَحْثِ الْقُرْآنِيِّ وَ التَّدْبِيرِ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ أَنَّ جُمْلَةَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. لَمَّا جَاءَتْ فِي إِثْرِ آيَاتِ النِّسَاءِ، وَ عَقِبَ آيَةِ وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ.. فَلَا مَنَاصَ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ جَمِيعًا فِي وَاقِعِهِ وَاحِدَةٍ، إِذْ أَنَّنَا نَعْتَقِدُ بِأَنَّ مِنْهَجَ تَدْوِينِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ-الَّذِي تَمَّ

بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله -و ترتيب الآيات فيه خاضع لقاعده خاصه يحكمها ترابط الآيات، و طبقاً لهذا الأصل المتفق عليه فنحن نرى أن آيه إنما يريد الله.. نزلت في حال توجه الخطاب الإلهي لزوجات النبي صلى الله عليه وآله بجمله من الوظائف و الواجبات المفروضه عليهن. من هنا يتضح أنه لا سبيل للتحقق من نزول هذا المقطع إنما يريد الله.. بشكل منفصل عن بقيه الآيات إنما بتتبع الروايات التي تتحدث عن شأن نزول هذه الآيه. و مع كثره هذه الروايات -حتى إن المحدث الكبير السيد هاشم البحراني نقل في «غايه المرام» إحدى و أربعين منها من طرق العامه، و أربعاً و ثلاثين روايه من طرق الإماميه (1) - لا بد في البدايه من سرد بعض هذه الروايات، و نرى أن نبدأ بما روى من طرق العامه.

القسم الأول: روايات العامه

إشاره

هذه مجموعه من الروايات المعتمده، المرويّه بأسانيد معتمده وفق قواعد أبناء العامه في الجرح و التعديل و تصحيح الأسانيد، ممّا ذكر في كتاب «تفسير ابن كثير» الذي يعدّ من أشهر تفاسيرهم، نسردها بحذف الإسناد توخياً للاختصار. ١- تقول أم سلمه -رضي الله عنها-: إن النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتها، فأتته فاطمه -رضي الله عنها- ببرمه فيها خزيره، فدخلت عليه بها، فقال لها: ادعى زوجك و ابنك، قالت: فجاء عليّ و حسنّ و حسينّ -رضي الله

ص: ٤٠

عنهم - فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيره و هو على منام له، و كان تحته صلى الله عليه و آله كساء خيرى. قالت: و أنا فى الحجره اصلى، فأنزل الله عز و جل هذه الآيه: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ... قالت -رضى الله عنها-: فأخذ فضل الكساء فغطّاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى و خاصتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، قالت: فأدخلت رأسى البيت فقلت: و أنا معكم يا رسول الله؟ فقال: **إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ (١) ٢-** عن حكيم بن سعيد قال: ذكرنا على بن أبى طالب -رضى الله عنه- عند أم سلمه -رضى الله عنها- فقالت: فى بيتى نزلت **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...، قالت أم سلمه: جاء رسول الله صلى الله عليه و آله إلى بيتى فقال: لا تأذنى لأحد، فجاءت فاطمه -رضى الله عنها- فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن -رضى الله عنه- فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه و امه، و جاء الحسين -رضى الله عنه- فلم أستطع أن أحجبه عن جدّه و امه، ثم جاء على -رضى الله عنه- فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا فجلّلهم رسول الله صلى الله عليه و آله بكساء كان عليه، ثم قال:****

هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، فنزلت هذه الآيه حين اجتمعوا على البساط. قالت: فقلت: يا رسول الله و أنا؟

ص: ٤١

١- ١) المسند لأحمد بن حنبل ١٧٧: ١٠ ح ٢٦٥٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقى ٣: ٤٩٢.

قالت: فو الله ما أنعم، وقال: إنَّكَ إلى خير (١). ٣- عن أبي سعيد الخدرى، عن أم سلمة-رضى الله عنها-قالت:

إنَّ هذه الآيه نزلت فى بيتى: إنَّما يُريدُ اللهُ...قالت: و أنا جالسه على باب البيت، فقلت: يا رسول الله أ لستُ من أهل البيت؟ فقال صلى الله عليه و آله: إنَّكَ إلى خير، أنت من أزواج النبى. قالت: و فى البيت رسول الله و على و فاطمه و الحسن و الحسين رضى الله عنهم (٢).

٤- عن أبى سعيد-رضى الله عنه-قال: قال رسول الله: نزلت هذه الآيه فى خمسه: فى و فى على و حسن و حسين و فاطمه: إنَّما يُريدُ اللهُ... ٣. ٥- عن صفيه بنت شيبه قالت: قالت عائشه: خرج النبى صلى الله عليه و آله ذات غداه و عليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمه فأدخلها معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: إنَّما يُريدُ اللهُ... ٤. ٦- عن العوام يعنى ابن حوشب قال: دخلت مع أبى على عائشه فسألتها عن على-رضى الله عنه-فقلت: تسألنى عن رجل كان من

ص: ٤٢

١- (١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٣: ٣.

٢- (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٣: ٣.

أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت تحته ابنته و أحبّ الناس إليه؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً رضى الله عنهم فألقى عليهم ثوباً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. قالت: فدنوت منهم فقلت: يا رسول الله و أنا من أهل بيتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: تنحى فإنك إلى خير (١).

نظرة في الروايات العامة:

تتفق الروايات التي تنتهي إلى أم سلمة و عائشة و تلتقى على أمر مهم؛ هو أنّ آية التطهير إنّما يريد الله.. نزلت في دار و مخدع أم سلمة، و أنّه كان يخلو حين نزول هذه الآية الشريفه إلّا منها و من النبي صلى الله عليه وآله و علي و فاطمه و الحسين عليهم السلام، و لم يكن هناك أحد من الأعراب، و هي تقرّ قائله: مع أنني كنت في الدار و كنت إلى جواره، و مع شديد شوقى و تطلّعى أن اشرك في هذه الفضيله و أن تشملنى الآية، إلّا أنّ النبي صلى الله عليه وآله و أبي ذلك و ردّنى بلباقه و دماثة خلق. و مع ما يلحظ من تفاوت في ألفاظ النصّين الأولين و مضمونيهما، إلّا أنّ ذلك لا يחדش بحال بالنتيجة التي خلصنا إليها، و هي أنّ الآية نزلت في دار أم سلمة، و أنّه لم يكن هناك في ذلك الحين أحد سواها و نفر الذين نزلت الآية في حقهم: فاطمه و أبوها و بعلمها و بنوها عليهم السلام. يُحتمل بقوّه أنّ الحديث الرابع الذي يرويه أبو سعيد، عن النبي صلى الله عليه وآله هو نفسه الحديث الثالث الذي يرويه عن أم سلمة، و الظاهر أنّ اسمها سقط من السند، و كلا الاحتمالين يشبان حقيقة نزول هذه الآية في الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم. و في الرواية الخامسة تعترف عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تلا تلك

ص: ٤٣

الآية في حقهم: على و فاطمه و الحسنين عليهم السلام، و لكن بصوره يلفها شيء من الإبهام و الغموض! فلا إشاره إلى مكان النزول و في بيت مَنْ مِنْ أزواج النبي صلى الله عليه و آله نزلت، و لعمرى ما نظنّها- و هي الشابه قويه الذاكره- كانت ستنسى، أو ما كانت ستذكر و تمرّ مرور الكرام على مكان نزول الآية لو كان في بيتها! و هذا بحدّ ذاته قرينه أخرى على أنّ الآية نزلت في دار أمّ سلمه، و لكنّها غيّره النساء و«الحسد داء الضرائر»! و نقل الحديث السادس لما يحويه من اعتراف الزوجه الشابه الصريح بأنّ أهل البيت الذين أرادتهم آيه التطهير هم فاطمه و أبوها و بعلها و بنوها عليهم السلام، و هي تقرّ و تعترف أنّ زوجها رسول الله صلى الله عليه و آله قد صرّح لها بأنّها «ليست من أهل البيت عليهم السلام» مع أنّ عائشه كانت جزءاً من عائله النبي، هذا يكشف عن تقصّد النبي و تعمّده إخراجها من شمول الآية الشريفه، و أنّها شخصياً وقفت على هذا المعنى بحيث لم يمكن لها إلّا الاعتراف به.

لا معارض لهذه الأحاديث:

و باستقصاء ما ورد في الباب من روايات العامه يتبين عدم وجود روايه مُعارضه لهذه الروايات السّنه أو ما يعارض مضمونها. و إن لم تتعرّض بعض الروايات لكيفيه النزول، و لم يكن في بعضها الآخر ذكر لمحلّ نزول الآية و البيت المخصوص من بيوت النساء الذي نزلت فيه، أو أنّ الرواه اکتفوا بذكر أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال: إنّ آيه التطهير إنّما يُريدُ الله.. نزلت في الخمسه أصحاب الكساء، أو أنّه صلى الله عليه و آله تلاها في حقهم،

أو أنّ الرواه استشهدوا بها في مقام ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ هذا لا يتنافى مع ما نحن بصدد إثباته، إذ لا يفترض -على القاعده- في الرواه أن يسردوا و يتناولوا جميع الجزئيات التي و اكبت الحدث بشكل تفصيلي، فقد ينقل بعضهم جانباً و البعض الآخر جانباً غير الأوّل، و لكن ما التقى عنده جميع الرواه و لم يعارضه أحد منهم هو أنّ نزول الآيه كان في شأن الخمسه أصحاب الكساء: محمّد و علي و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، و بهذا يتحقّق المطلوب. هكذا يتّضح أنّه لا يوجد أيّ معارض لهذه الروايات السّتّ و مضامينها، و حرى رجال التحقيق للمزيد من التّثبت، مراجعه امّهات المصادر كالصّحاح السّته، تفسير ابن كثير، تفسير الدر المنثور، تفسير الطبري، أو كتاب غايه المرام لسيدنا المحدّث الجليل السيّد هاشم البحراني -أعلى الله مقامه- الذي جمع جملة من هذه الأحاديث. نعم، وردت هناك روايه تتعارض مع هذه السّته، و هي روايه زينب بنت جحش إحدى زوجات النبيّ صلى الله عليه و آله، التي نقلت أنّ آيه التطهير إنّما نزلت في بيتها، و قد كان عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و آله حين نزول الآيه الشريفه، و واضح هنا أنّ التعارض لم يمس إلّا مكان النزول دون من نزلت في حقّهم. و لكن الروايات التي تحدّد مكان النزول على أنّه بيت امّ سلمه رضوان الله عليها مستفيضه، و لا يمكن لروايه أو روايتين معارضتين أن تواجه هذا السيل المتدفّق، و هنا يسقط المعارض تلقائياً عن الاعتبار. هذا، مع أنّ روايه زينب لا تخدش ما توخّينا و أثبتناه كونها تناولت حيثيات و تفاصيل القضيّه من زاويه أخرى هي مكان نزول

الآيه الشريفه، و هذا لا يمس - كما أسلفنا - شأن النزول و بأن الآيه نزلت في حق أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم، بل أنها أقرت بذلك و أمضته.

ملكيون أكثر من الملك !

اشاره

و مع أنّ زوجتي النبي صلى الله عليه و آله؛ أم سلمه و عائشه اعترفتا و أذعنتا بأن آيه التطهير لم تُردهما و لم تُرد أيّاً من نساء النبي صلى الله عليه و آله، و أنها تختصّ بالخمسه أصحاب الكساء، إلّا أنّ هناك من أبي إلّا أن يُدخل نساء النبي صلى الله عليه و آله في خصوص الآيه و يلحقهنّ بأهل البيت عليهم السلام، بل يختصّهنّ بها دون أهل البيت! هنا نسلط الضوء على هؤلاء «المتطفلين»، و ينقسمون إلى طائفتين: الأولى، بعض رواه صدر الإسلام أمثال عكرمه، مقاتل بن سليمان، و عروه بن الزبير. و الطائفة الثانيه، جمع من مفسّري العامه.

الطائفة الأولى:

اشاره

ينبغي التنويه إلى أنّ هذه الطائفة طرحت بشكل عام موقفها من الآيه من منطلق رؤيتها الشخصيه و تحليلها الخاص، لا أنها تنسبه بروايه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله أو أزواجه أو صحابته، و من المسلّمات أنّ آراء هؤلاء لا تضي على الموضوع أيّه مشروعيه و لا تشكّل أيّه حجّه، إذ تبقى آراؤهم الخاصه، هذا لو لم يكونوا مطعونين و مشكوكين فكيف و قد كانوا كذلك؟! هذا عكرمه يقول: «إنّ آيه التطهير لا تشمل إلّا نساء النبي صلى الله عليه و آله»!

و يمعن و يغرق في الأمر إلى حدّ الدعوه إلى مباهله من ينكر ذلك، و كان يرفع صوته المنكر في الأسواق منادياً بأن آيه التطهير نزلت في نساء النبي! و لعمرى ما قيمه كلام عكرمه و ما هي خصوصيته هذا الرجل و ما هو محلّه من الإعراب حتّى يريّح رأيه على رأى الآخرين؟! و ينضمّ عروه بن الزبير إلى عكرمه و صفّ مصفّه في الادّعاء و فى الردّ، أمّا ما ينسبه عكرمه أو غيره إلى ابن عبّاس و يرويه عنه من نزول آيه التطهير في نساء النبي صلى الله عليه و آله، فمّمّا ينبغى البحث عنه فى الدواعى و البواعث التى حدث بهم إلى هذا الافتراء، الذى خالفوا به ما اتّفق عليه المعتر من روايات العامّة، و ما صرّحت به عائشه و أم سلمه، و لنبحث فى أفكارهم و شخصياتهم و نستخلص البواعث على مواقفهم تلك.

عكرمه (مولى ابن عبّاس):

يُعدّ عكرمه من ألد أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، و لا يبعد أن يكون موقفه هذا تفريراً لحقد أمّضه، و لحساب شخصى أو غلّ فى تصفيته! يذكر السيّد الجليل العلّامة شرف الدين فى كتابه «الكلمه الغراء فى تفضيل الزهراء عليها السلام»: و كان عكرمه ينادى فى الأسواق (1) تحاملاً على أصحاب الكساء، و لا عجب، فإنّ عكرمه من الدعاة إلى عداوه علىّ عليه السلام

ص: ٤٧

١ - ١) فيما نقله عنه جماعه كثيرون منهم الواحدى فى كتاب أسباب النزول: ٢٤٠، و ابن حجر فى الصواعق المحرقة: ١٤١، الفصل الأوّل فى الآيات الواردة فيهم عليهم السلام.

و السعاه فى تضليل الناس عنه بكلّ طريق.فعن يحيى بن بكير قال:

قدم عكرمه مصر و هو يريد المغرب، قال: فالخوارج الذين هم فى المغرب عنه أخذوا (1).و عن خالد بن عمران قال: كُنّا فى المغرب و عندنا عكرمه فى وقت الموسم فقال:وددت أنّ بيدى حربه، فاعترض بها من شهد الموسم يميناً و شمالاً-لبنائه على كفر عدا الخوارج من أهل القبله-.و عن يعقوب الحضرمى،عن جدّه قال:وقف عكرمه على باب المسجد فقال:ما فيه إلّا كافر،قال:و كان يرى رأى الأباضيه-و هم من غلاه الخوارج-.و عن ابن المدينى:كان عكرمه يرى رأى نجده الحرورى-و كان نجده من أشدّ الخوارج عداوه لأمير المؤمنين-.و عن مصعب الزبيرى:كان عكرمه يرى رأى الخوارج.و عن عطاء:كان عكرمه أباضياً.و عن أحمد بن حنبل:أنّ عكرمه كان يرى رأى الصفريه-و هم من غلاه الخوارج أيضاً-.و حدّث أيوب عن عكرمه أنّه قال:إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضللّ به!فانظر إلى آرائه ما أخبثها-.و عن عبد الله بن الحارث قال:دخلت على على بن عبد الله بن

ص: ٤٨

١- ١) نقل ياقوت الحموى فى معجم الأدياء ١٢:١٨٤ عن القاضى الجعابى بأنّه حيث أتى على ذكر عكرمه فى كتاب الموالى:أنّ عكرمه دخل فى رأى الحرورىه الخوارج،و نقل عن أبى على الأهوازى أنّه يميل إلى استماع الغناء،قال:وقيل عنه:إنّه كان يكذب على مولاه.

العَبَّاسُ فإذا عكَّرمه في وثاق، فقلت: أ لا تَتَّقِي اللَّهَ؟ فقال: إِنَّ هَذَا الْخَيْثُ يَكْذِبُ عَلَيَّ أَبِي (١). و عن ابن المسيب أنه قال لمولى له اسمه برد: لا تكذب عَلَيَّ كما كذب عكَّرمه علي ابن عَبَّاس (٢). تبلور لنا صورته و شخصيته عكَّرمه من هذه العبارات التي نقلها العلَّامة شرف الدين، و ذكرها من مصادر العامَّة و كتبهم الرجاليه المعتمَرة، فعكَّرمه مفتر كذاب، عديم الضمير و الإيمان، ليس بثقة، من اللد أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، و من هنا يتَّضح هدفه من تَبَيَّنَ رأيه الشاذَّ في آيه التطهير، و السَّرَفِ في هذا الشذوذ، و ما هو إلَّا بغض عَلَيَّ عليه السلام و عداؤه له، و اللهم في سبيل إزاحه منقبه من مناقب عَلَيَّ عليه السلام، و نزع حلَّه زينه بها القرآن و خلعها على غيره، و إن كان سعيه عن طريق نسبه الحديث إلى ابن عَبَّاس، فهذه هي طريقته في الافتراء على مولاه، و إلَّا فإنَّ النقل عن ابن عَبَّاس تعددت طرقه في أن آيه التطهير لم تنزل في نساء النبي صلى الله عليه و آله، و أنها لم تشملهنَّ، و من هذه ما يرويهِ أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن ميمون قوله: «... و أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله ثوبه فوضعه على عَلَيَّ و فاطمه و حسن و حسين فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

ص: ٤٩

١- ١) هذا لفظ الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣:٩٤ نقلاً عن عبد الله بن الحارث. و الذى نقله ياقوت الحموى فى ترجمه عكَّرمه من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال: دخلت على عَلَيَّ بن عبد الله بن عَبَّاس- و عكَّرمه موثق على باب الكنيف- فقلت: أ تفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إِنَّ هَذَا يَكْذِبُ عَلَيَّ أَبِي، معجم الأدياء ١٢: ١٨٤.

٢- ٢) الكلمه الغراء فى تفضيل الزهراء عليها السلام للعلَّامة السيِّد عبد الحسين شرف الدين، ص ٢٠-٢٢.

عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً» ١. و خلاصه القول: أن رأى عكرمه الجاهل بالقرآن، المعادى لأهل البيت ساقط عن الاعتبار، و لا حججه له بتاتاً.

مقاتل :

(١)

أمياً مقاتل، فيذكر العلامة شرف الدين أعلى الله مقامه عنه « أنه أيضاً كان عدوًّا لأمر المؤمنين عليه السلام، و كان دأبه صرف الفضائل عنه حتى افتضح بذلك. قال إبراهيم الحربى - كما فى ترجمه مقاتل من وفيات الأعيان لابن خلكان - : قعد مقاتل بن سليمان فقال - إطفاءً لنور أمير المؤمنين عليه السلام - : سلونى عمّا دون العرش، فقال له رجل :

آدم صلى الله عليه و سلم حين حجّ من حلق رأسه (٢)؟ فقال له: ليس هذا من علمكم. و قال الجوزجاني - كما فى ترجمه مقاتل فى ميزان الذهبى - كان مقاتل دجالاً - جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم هاهنا فأسند ظهره إلى القبلة و قال: سلونى عمّا دون العرش قال: و حدثت أنه قال بمثلها بمكّه، فقام إليه رجل فقال: أخبرنى عن النمله أين

ص: ٥٠

١ - ٢) مقاتل بن سليمان البلخى أو البجلي المتوفى فى البصره ١٥٠هـ، ذكر الزركلى فى أعلامه أنه كان متروك الحديث (ج ٢٨١: ٧) و ذكره المامقانى فى رجاله حيث نقل أنه قيل لأبى حنيفه: قدم مقاتل، قال: إذن يجئك بكذب كثير، (تنقيح المقال ٣: ٢٤٤ طبعه النجف).

٢ - ٣) وفيات الأعيان ٥: ٢٥٥، الرقم ٧٣٣.

أمعاؤها؟ فسكت (١). و كان مقاتل مع ذلك كله من كبار المرجئه و غلاه المشبهه بنص جماعه، منهم: ابن حزم في كتابه «الفصل» (٢) و عدّه الشهرستاني في الملل و النحل من رجال المرجئه (٣)، و قال أبو حنيفه- كما في ترجمه مقاتل من ميزان الاعتدال-: أفرط جهم في نفى التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، و أفرط مقاتل- يعنى في الإثبات- حتى جعله مثل خلقه، و قال أبو حاتم بن حبان البستي- كما في ترجمه مقاتل من تهذيب الكمال للمزى-: كان مقاتل يأخذ عن اليهود و النصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم، و كان مشبهاً يشبه الرب عزّ و جلّ بالمخلوقين، و كان يكذب مع ذلك في الحديث (٤)، (٥). و بهذه ترجمه لمقاتل التى أثبتها العلامة الفقيه شرف الدين من كتب القوم و مصادرهم يسهل الحكم على رأيه فى آيه التطهير، و ما زعمه من نزولها فى نساء النبى صلى الله عليه و آله ! فالتهافت نال و قدح فى شخصه و شخصيته، و ليس مجرد دعواه و مقالته. و حقّ أن تتمثل:

ص: ٥١

١-١) أحوال الرجال للجوزجاني: ٢٠٢، الترجمة ٣٧٣، ميزان الاعتدال ١٧٤: ٤ الرقم ٨٧٤١.

٢-٢) الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ٢٠٥: ٤.

٣-٣) الملل و النحل ١٢٨: ١.

٤-٤) كتاب المجروحين لابن حبان ٣: ١٤، تهذيب الكمال ٢٨: ٤٥٠.

٥-٥) الكلمه الغراء فى تفضيل الزهراء للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين: ص ١٩-٢٠.

عروه:

ثالث من كان يُؤوّل آيه التطهير بنساء النبي صلى الله عليه وآله هو عروه بن الزبير. يذكر صاحب قاموس الرجال في ترجمه عروه: «روى المسعودى فى موجه عن حمّاد بن سلمه قال: كان عروه بن الزبير يعذّر أخاه إذا جرى ذكر بنى هاشم، وحصره إيّاهم فى الشعب وجمعه الحطب لتحيقهم، ويقول: إنّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا فى طاعته كما ارهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم فيما سلف (1) (يعنى يوم السقيفه). وقد تظاهرت الروايه عن عروه أنّه كان يأخذه الزمع عند ذكر عليّ عليه السلام فيسبّه و يضرب بإحدى يديه على الأخرى و يقول: و ما يمنعنى أنّه لم يخالف إلى ما نُهى عنه، و قد أراق من دماء

ص: ٥٢

المسلمين ما أراق؟» (١). و يكفى هذا المقدار لبيان مستوى هذا الرجل و مدى عدائه و معاندته لأمر المؤمنين عليه السلام، و هكذا جهله و حقه، و يصدق فى حقه أنه ممن لو ولج بحر القرآن المتلاطم لما حظى حتى بقطره منه، و لو انقدحت من نفسه الخبيثه شراره ما كانت لتوقد إلّا من لهيب الحقد، و إن نسب قولاً فما يفرغ إلّا عن الافتراء و البهتان!

الطائفه الثانيه:

ذكرنا آنفاً أن الطائفه الثانيه ممن يرى أن آيه التطهير شملت نساء النبى صلى الله عليه و آله أو نزلت فيهنّ على وجه الحصر، تضمّفته من علماء العامه و أرباب التفاسير عندهم. و قد انصبّت حجّه هؤلاء على أدله ثلاثه، نقول فى ردّها: ١- إذا كان الدليل على الانحصار أو الشمول هو وقوع الآيه الشريفه (التطهير) ضمن آيات كانت تخاطب نساء النبى صلى الله عليه و آله، فإن ردّ ذلك قد تبين فى كون الآيات المتعلقه بالنساء لا تحكى عن الإراده التكوينيّه للبارى عزّ و جلّ فى عصمتهنّ، و هى خلوّ ممّا يثبت فضلهنّ و حتميه طهارتهنّ، أمّا آيه التطهير فهى فى مقام تقرير المشيئه الربانيه

ص: ٥٣

الحتمية في طهاره ثلّه معيّنه هي «أهل البيت عليهم السلام»، يثبت بذلك فضلها و أفضليتها، فكيف يمكن أن تشمل آيه تحوى هكذا دلالة اناساً احتملت الآيات السابقه سقوطهنّ في الرجس و اتّبعهنّ زينه الدنيا (نساء النبي صلى الله عليه و آله)، و سيأتي لاحقاً المزيد من التفصيل في هذا الباب. ٢- إذا كان دليلهم أنّ تتابع الآيات و وحده السياق يقتضى ما ذهبوا إليه من الانحصار أو الشمول، فإنّ هذا لا يربو إلّا أن يكون قرينه لا دليلاً قائماً بذاته، و قد رأينا كيف تهافت هذه القرينه و سقطت أمام الأحاديث المتّفقه على التصريح بأنّ الآيه عنت الخمسه أصحاب الكساء لا غيرهم، و كيف أقرّت النسوة: عائشه و أم سلمه أنفسهنّ بهذه الحقيقه و أذعننا لها. ٣- و إن كانت حجّتهم في وجود روايات معارضه دلّت على شمول الآيه لزوجات النبي صلى الله عليه و آله، فقد بيّنا أنّ رواه هذه الأحاديث من أضراب عكرمه و مقاتل و عروه إنّما نقلوا آراءهم الخاصه أو افتروا على ابن عبّاس، و اتّضح فيما سبق أنّ علماء العامّه أنفسهم فيما بحثوه من أحوال هؤلاء في كتب الجرح و التعديل أسقطوهم عن الاعتبار و الوثاقه، و نسبوهم إلى الكذب و فساد العقيدته. و على هذا لا يبقى لذي ضمير حيّ و إنصاف، بعيد عن الجدل الأجوف من سبيل إلّا الإذعان بأنّ آيه التطهير إنّما نزلت في الخمسه أصحاب الكساء عليهم السلام، و لا مناص من الإقرار بأنّ نساء النبي صلى الله عليه و آله لا نصيب لهنّ من هذه المنقبه العظيمه و الفضل الإلهي الجزيل.

القسم الثاني: روايات أهل البيت عليهم السلام

إشاره

تناول البحث فيما مضى الروايات الوارده عن طرق العامّه، و في هذا الباب نستعرض بعض الأحاديث الشريفه التي نقلت عن أهل

البيت عليهم السلام. تزخر كتب الشيعة و مجاميعهم الروايتيه بأحاديث كثيره حول آيه التطهير ذكرت فى مواضع و بمناسبات مختلفه، و قد أشرنا فى صدر البحث إلى الأربعة و ثلاثين حديثاً التي نقلها السيد هاشم البحراني فى كتابه «غايه المرام» و سنذكر هنا بعض الأحاديث التي أوردتها المحدث الجليل الشيخ عبد على بن جمعه العروسي الحويزى المتوفى (١١١٢ هـ) فى تفسيره القيم «نور الثقلين»: ١- فى تفسير على بن إبراهيم: و فى روايه أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزّ و جلّ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.. قال: نزلت هذه الآية فى رسول الله و على بن أبى طالب و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم، و ذلك فى بيت أم سلمه زوج النبي صلى الله عليه و آله، فدعا رسول الله صلى الله عليه و آله على بن أبى طالب و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم، ثم ألبسهم كساءً خبيرياً و دخل معهم فيه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى الذين وعدتني فيهم ما وعدتني، اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمه: و أنا معهم يا رسول الله؟ قال: أبشرى يا أم سلمه فإنك إلى خير (١). ٢- فى كتاب الخصال، فى احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الناس يوم الشورى، قال: أنشدكم الله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آيه التطهير على رسول الله صلى الله عليه و آله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ... فأخذ رسول الله صلى الله عليه و آله كساءً

ص: ٥٥

خَيْرِيًّا فَضَمَّنِي فِيهِ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسْنَ وَ الْحُسَيْنَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ هُوَ لَاءَ أَهْلِ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا
غَيْرِيًّا؟ قَالُوا:

اللَّهُمَّ لَا (١) ٣- فِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَ تَمَامِ النِّعَمَةِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى سَلِيمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ فِي
أَثْنَاءِ كَلَامِهِ لَهُ فِي جَمْعِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فِي الْمَسْجِدِ أَيَّامَ خِلافَةِ عِثْمَانَ: أَيُّهَا النَّاسُ أْتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْزَلَ فِي
كِتَابِهِ إِنََّّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.. فَجَمَعَنِي وَ فَاطِمَةَ وَ ابْنَتِي حَسَنًا وَ حُسَيْنًا وَ أَلْقَى عَلَيْنَا كِسَاءً، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هُوَ لَاءَ أَهْلِ بَيْتِي وَ لِحِمَّتِي
يُؤَلِّمَنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ وَ يَحْرَجُنِي مَا يَحْرَجُهُمْ، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَنْتِ-
أَوْ إِنَّكَ- عَلَى خَيْرٍ، إِنََّّمَا أَنْزَلْتَ فِي وَ فِي أُخْتِي وَ ابْنَتِي وَ فِي تَسْعَةِ مَنْ وَلَدَ ابْنِي الْحُسَيْنِ خَاصَّةً لَيْسَ مَعْنَا فِيهَا أَحَدٌ
غَيْرِنَا، فَقَالُوا: كُلُّهُمْ: نَشْهَدُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ حَدَّثَتْنَا بِذَلِكَ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَحَدَّثَتْنَا كَمَا حَدَّثَتْنَا أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا (٢) ٤- فِي رِوَايَةِ صَاحِبِهِ يَرْوِيهَا أَبُو بَصِيرٍ، عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَقَلَ مِنْهَا مَوْضِعَ الشَّاهِدِ لَمَّا نَحْنُ بِصَدَدِهِ: «... وَ
لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِنََّّمَا يُرِيدُ اللَّهُ... فَكَانَ عَلَى وَ الْحَسْنَ وَ الْحُسَيْنِ وَ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ، فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَ ثَقَلًا وَ هُوَ لَاءَ
أَهْلِ بَيْتِي

ص: ٥٦

١- (١) الخصال ٥٦٠:٢، تفسير نور الثقلين ٢٧٢:٤.

٢- (٢) كمال الدين و تمام النعمة ٢٧٨:١، تفسير نور الثقلين ٢٧٢:٤.

و ثقلی. فقالت أم سلمه: أ لست من أهلك؟ قال: إنك إلى خير و لكن هؤلاء أهلی و ثقلی» (١).

تناسق الأخبار و انسجامها (ثمره البحث):

بلغ مجموع ما ذكرناه فى القسمين عشر روايات شملت مختارات من الأحاديث المعبره المنقوله بالطريقين، سته أحاديث من طرق العامه و أربعة من طرق الخاصه: أى شيعه أهل بيت العصمه و الطهاره عليهم السلام، و يقف المتتبع على تناسق قل نظيره بين هاتين الطائفتين من الأخبار على اختلاف طرق النقل و تباين المدارس المذهبيه و العقائديه! و استناداً إلى هذه الأخبار العشره يمكننا الخروج بنتائج واضحه نعرضها ملخصه مختصره كبنود أساسيه تمثل حصيله البحث و ثمرته: ١- إن آيه التطهير إنما يُريدُ الله.. نزلت مستقله و منفصله، و تدوينها ضمن الآيه الثالثه و الثلاثين من سوره الأحزاب، بعد الآيات التى خاطب فيها الشارع المقدس أزواج النبى صلى الله عليه و آله و حدد فيها بعض تكاليفهن، لا- يحمل أى مدلول على تتابع الخطاب و استمرار الموضوع.

و هذه الثمره هى الهدف الأساسى من هذا البحث. ٢- الآيه الكريمة نزلت فى بيت أم سلمه رضوان الله تعالى عليها. ٣- إن أم سلمه و عائشه كلتيهما اعترفتا بأن الآيه لا تشملهن، بل أقرتا بأن النبى صلى الله عليه و آله أكد لهن بأن عليهن أن لا يتوقعن أن يكنّ فى نطاق آيه تضع اسس بنيه المجتمع الإسلامى، و ترسم الاستراتيجيه الإسلاميه

ص: ٥٧

(١- ١) الكافى ٢٨٧: ١، تفسير العياشى ٢٥٠: ١، تفسير نور الثقلين ٢٧٤: ٤.

فى نوع و شكل و مصداق القىاده و امتداد خط الهدى من بعده، و هى العنصر الأساسى لضمان مستقبل الحركة، و علفهن أن فكتفن فخرأ بصفه الزوجفه، و أن السعاده فى انتظارهن إذا ما عملن و تقفدن بالأوامر و النواهى الإلهفه التى رسمت حدودهن، و حظرت علفهن التطفل فى القضافا العامه، و الخوض فى الشئون السفاسه و إثاره الفتن و المعوقات فى طرفق الولافه و الإمامه الحقه للمسلمفن، و كنموزج لحسن العاقبه و تفداف لصفتها طرحت الروافا أم المؤمنفن أم سلمه رضوان الله علفها، و هذه المرأه الجفله العففه التى بشرها النبى صلى الله علفه و آله بأنها «إلى ففر» أو «على ففر»، و حدثنا التاريخ كفف أن «الففر» كان فى بقائها فى بفتها بعفداً عن مفاففن الفروب و معتركا السفاسه! ٤- المرفاؤون فى بفت أم المؤمنفن، و ففر زوجا النبى صلى الله علفه و آله من الأحفا ففن نزول الآفه: أى بفت أم سلمه، عفا النبى صلى الله علفه و آله هم أسره فففض فضلاً و فضفله، رجل و زوجته و ابناهما: علفى و فاطمه و الحسنان صلوا الله و سلامه علفهم، أى ابن عم النبى و صهره و ابنته و سبطاه علفهم السلام. ٥- نزول الآفه الشرففه كان ففن فجماع الفمسه صلوا الله علفهم لا قبل ذلك، هذا ما فستفاد من الأحافف المنتهفه إلى أم سلمه و أبى سعفد الففدرى، و هكذا الأحافف الأربه المروفه عن الأئمّه المعصومفن علفهم السلام بما تقرره من افحصاص الآفه بالفمسه أصحاب الكساء و كونها ففر ناظره لففرهم. ٦- دعاء النبى صلى الله علفه و آله لأهل بفته «اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم فطهراً» كان فى المقام و المكان نفسه الذى نزلت فى الآفه، إذ

عمد بعد نزول الآيه مباشره إلى ذويه و جمعهم تحت الكساء و دعا بدعاء «اللهم هؤلاء أهل بيتي...»، و كأنه صلوات الله عليه و آله أراد تأكيد مضمون الآيه و تحديد مصداقها على وجه الحصر، و دفع أى وهم قد يعترى أحداً من أنها تشمل غيرهم. و بعبارة اخرى: يظهر أن للنبي صلى الله عليه و آله هدفاً عظيماً و غايةً ساميةً من وراء عمله جمع أهله و ذويه تحت الكساء، و هى حصر و اختصاص المقام الإلهي الشامخ الذى ناله المخاطبون فى آيه «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...» هؤلاء المجموعين تحت الكساء، حتى لا يدعى فى الحاضر أو المستقبل أحد أنه من المشمولين بالآيه و ينتحل لنفسه ذلك المقام الخطير؛ مقام العصمه و الطهاره، الذى ما أرادَه البارى عزّ و جلّ إلّا لقاده دينه و أئمه خلقه و ورثه رسوله، فجاء فعل النبي صلى الله عليه و آله، بل قوله أيضاً- إذ ما اكتفى بجمعهم تحت الكساء بل صرّح و هو يشير إليهم:

«هؤلاء أهل بيتي...»-المباشر لنزول الآيه؛ ليحسم الأمر و يقطع أى نزاع حاضر أو مستقبل حول دلالتها و المخاطبين فيها. ثم هلّم لنرى التحامل و الجهل كيف يصوّران واقعه الكساء و التجمّع الخاصّ المعين أمراً طبيعياً لم يكن يعنى أكثر من استلقاء للراحه أعقب تناول وجهه دسمه من الطعام! و كيف أنّ تقادم الأيام حوّل هذه الحادثه الطبيعیه إلى فضيله و منقبه تُساق دليلاً و مستنداً للاستحواذ على زعامه المسلمين و التصدّي لمقام القيادة. و لعمري ما ذا عسانا أن نقابل هذا الزعم الأجوف و القول الأعمى؟ ترى هل انحصر وقوع هذا الحدث «الطبيعي» مرّة واحدة فقط على مدى تلك السنين المتماديه؟ ترى هل اجتماع النبي صلى الله عليه و آله مع بقيته

أصحاب الكساء عليهم السلام لتناول الطعام لم يتحقق إلّا في مرّه واحده، وأنّ الحاجه إلى الاستلقاء و الاستراحه بعد تناول الطعام لم يكن إلّا في ذلك اليوم؟ أى تقاليد و أعراف «طبيعيه» تسمح بالتقاء خمسه أشخاص من الأقرباء على ذلك النحو و بتلك الكيفيه؟! ثمّ كيف يمكن للزمن و تقادم الأيام أن يؤثّر في تحوير أمر طبيعيّ و تحويله إلى منقبه و فضيله خاصّه؟! كيف يمكن لأمير المؤمنين عليه السلام أن يستند إلى «قضيه طبيعيه» و يحتجّ بها في مراحل متعدّده من المعترك العسير، الذى كانت التيارات السياسيه المتنافسه تتناهب فيه الزعامه و تتجادبها، فيتخذها عروه و ثقى و يتمسكّ بها دون غيرها، و هو علىّ عليه السلام الذى يقول «ينحدر عنى السيل، و لا- يرقى إلى الطير...» (1)؟! لعمرى كم الحقيقه مرّه، و الإذعان لها عسير بحيث يعمد الإنسان إلى طمسها و إسدال ستار الوهم عليها، و يعمل على إضلال جمع ممّن خفيت عليهم! هل كلّ ما شطح به الخيال و رسمه قلم الكاتب على الأوراق هى حقائق؟ فما هو الفيصل بين الحقّ و الباطل إذن؟ و ما هو السبيل لتمييز الصلاح عن الفساد؟ لما ذا نقلب الحقيقه و نجحدها و نحن نصوّر فضيله عظيمه طرحت منذ البدايه كعنوان مُعرّف لثله و جماعه خاصّه، و ترسيخت عبر أقوال و ممارسات متكرّره، نظرناها كحدث طبيعيّ و أمر عادى يذهب بالمدلول و يمحوه؟ ترى هل لهذا الفعل المشين من تسميه غير ظلم أهل

ص: ٦٠

(١-١) نهج البلاغه: ٢٦، الخطبه ٣ (الخطبه الشقشقيه).

البيت و إنكار حقهم؟! نعم، لا- ريب في أن هدف النبي صلى الله عليه وآله من جمع تلك الثلث تحت الكساء و تعقيب ذلك بعبارة «هؤلاء أهل بيتي» كان سلب أيه صفه و عنوان يفيد التعميم من الآية، و أن زوجات النبي صلى الله عليه وآله و عموم أقربائه و عشيرته لا نصيب لهم في هذه الآية و لا اختصاص لهم بها، و من هنا جاء قول الصادق عليه السلام: «لو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يبين من أهل بيته لادعاهآ آل فلان و آل فلان...» (1) و هذا مما يؤكد اهتمام النبي صلى الله عليه وآله و حرصه على حسم هذا الأمر، فما اكتفى بالقول بل عمد إلى أسلوب مبتكر في تحديد المراد من أهل البيت عليهم السلام، بحيث أخرج أم سلمة- صاحبه البيت- قولاً و عملاً من ذلك النطاق المقدس، و حصره بالخمسة عليهم السلام. ٧- إن آيه التطهير تشمل النبي صلى الله عليه وآله أيضاً، و رواه أبى الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام و أبى سعيد الخدرى، عن النبي صلى الله عليه وآله و آله تصرح بهذا المعنى، و هذه النقطة مما يهمنى التركيز عليها لدورها في بيان معنى أهل البيت الذى سنتناوله لاحقاً.

٢- موقع الآية فى التدوين:

إشاره

هنا سؤال يطرح نفسه، بعد إثبات انفصال آيه التطهير و استقلاليتها فى النزول و شأنه و الدلاله و ما إلى ذلك مما مرّ فيه الحديث، و هو: لما ذا جاء تدوينها فى هذا الموضع بالذات، فى ذيل الآية الثالثه

ص: ٦١

١- (١) الكافى ٢٨٧:١، البرهان فى تفسير القرآن ٣٨٢:١.

و الثلاثين من سورة الأحزاب؟ قبل الدخول في جواب هذا السؤال و البحث في هذه النكته الهامه، لا بدّ من ملاحظه المنهج القرآنى و القواعد التى تمّ وفقها تدوين القرآن الكريم و ترتيب آياته.

ترتيب الآيات:

مما لا شك فيه أنّ الصورة الفعلية لنظم القرآن الكريم و تأليفه تمثّل القمّه و الكمال المطلوب فى هذا المقام، و هى مطابقه لما أمر به رسول الله صلى الله عليه و آله، و أنّه دُونَ و جُمع بهذا الشكل الموجود عليه اليوم فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و حياته. و هناك شواهد كثيره على هذا المدعى، و هو ممّا يقول به كبار العلماء من الشيعة و السنّه، من قبيل شيخ الطائفة الطوسى و رئيس المحدّثين الشيخ الأقدم الصدوق القمى و السيد الجليل علم الهدى و صاحب مجمع البيان، بل يصدق أنّ جميع القائلين بعدم تحريف القرآن، الذين يشكّون الأكثرية المطلقة من العلماء المحقّقين يدعون لهذا المعنى، أى أنّ القرآن الكريم جُمع و ألّف آياته و سورة على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، كما يظهر من بعض استدلالاتهم، و للوقوف على تفاصيل الموضوع نحيل القارئ إلى كتاب «البيان فى تفسير القرآن» و إلى كتابنا «مدخل التفسير فى علوم القرآن». و لإثبات المطلوب نكتفى هنا بذكر مسأله و دليلين:

اشاره

هناك حقيقة مشهودة و أمر ملموس في القرآن الكريم يكتشفه المتدبر في آياته، و هي أن لهذا الكتاب السماوي بدايةً و جذراً أصيلاً و منبعاً واحداً، و أن الآيات الكريمة تترى الواحد تلو الأخرى باتجاه هدف معين، و تعود لتصب في مصب واحد، بحيث يبتنى منهج الاستدلال و كفيته-إلى حد ما- في كل آية على الآيه التي سبقتها. يبدأ كتاب الله العظيم، القرآن الكريم بسوره الحمد، التي تعرف ب «فاتحه الكتاب»، و هذا العنوان يكشف عن أن للقرآن بدايه و نهايه، و إذا لم يكن تدوين القرآن و جمعه قد تم على عهد النبي صلى الله عليه و آله فلا محل و لا معنى لإطلاق هذه الصفة على سوره الحمد-التي احتلت في عمليه التدوين بدايه هذا الكتاب السماوي- و أن يذكرها النبي صلى الله عليه و آله بهذا العنوان «الفاتحه». و لعل السر في البدء بهذه السوره و افتتاح القرآن بها أنها تمثل فهرساً و قائمه مركزه و مختصره لمطالب و رساله القرآن الكريم. فالقرآن الكريم بصدد رسالتين أساسيتين في طريق هدايه البشريه و سعادتها: «الإيمان بالله و الإقرار بالمعاد و يوم الجزاء» و تأتي قصص الأنبياء في القرآن مثلاً لتحكى و تبين ردود فعل الأمم السابقه، و كيف أن الرقى الإنساني و السعاده و النعم الربانيه كانت قرينه الاستجابه لدعوات الأنبياء و الإيمان بهم، و أن التعاسه و الشقاء و الانحطاط كان حليف الكفر و إنكار الرسالات و النبوات، و إن سوره الحمد تضم خلاصه مواضيع أساسيه من هذا القبيل، و تشكل عصاره الأهداف المقدسه للقرآن الكريم.

ولما كانت هذه السوره فهرساً لمواضيع الكتاب، و تمثل أروع مستهلّ، حقّ أن تكون لها الصداره و أن يبدأ بها الكتاب، و لا يمكن فرض احتمال أن يكون ذلك من قبيل الصدفة، و دون إرشاد ممّن ارسل بالكتاب الكريم صلوات الله عليه و آله، إذ هو الوحيد الذي يمكنه الوقوف على جميع أسرار هذا السفر المقدّس و رموزه الغيبية، و نترك متابعه البحث في هذا الموضوع لمقام آخر.

الدليل الأوّل

الدليل الأوّل على أنّ القرآن الكريم جُمع و ألّف على عهد النبيّ صلى الله عليه و آله عموم الأحاديث النبويّه الشريفه، التي أرجعت المسلمين إلى القرآن، مثل حديث الثقلين، و الأحاديث التي أرشدت المسلمين و طالبتهم بعرض ما يُنسب لرسول الله صلى الله عليه و آله على القرآن، و دلالتها على وجود كتاب محدّد يحوى بين دفتيه ما أنزل من القرآن الكريم، هناك روايات يرتكز ظهورها في خصوص تأليف القرآن و جمعه و وجوده على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله. منها: ما نقله صاحب تفسير «البيان» (1): روى الطبراني و ابن عساکر عن الشعبي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله سنّه من الأنصار: أبي بن كعب و زيد بن ثابت

ص: ٦٤

(١ - ١) المرحوم آيه الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي.

و معاذ بن جبل و أبو الدرداء و سعد بن عباده و أبو زيد (١). و روى قتاده قال: سألت أنس بن مالك: مَنْ جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه و آله؟ قال:

أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد (٢). و أخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه و آله فقال: اقرأه في شهر (٣). و يذهب مؤلف البيان، استناداً لهذه النصوص إلى أن القرآن جُمع في عصر النبي صلى الله عليه و آله، و للمزيد من التفاصيل يُراجع هذا الكتاب (٤). و يظهر من مفاد بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه و آله كان يحدّد لكتّاب الوحي موضع و مكان كل آية بعد نزولها، و يعيّن ترتيبها في السور و بين الآيات، فقد ورد في تفسير الدرّ المنثور: أخرج أحمد، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه و آله جالساً إذ شَخَصَ بصره ثم صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَلْزِقَهُ بِالْأَرْضِ. قال: ثم شَخَصَ بصره فقال: أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآيه بهذا الموضع من السوره إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ إِلَى قَوْلِهِ تَذَكَّرُونَ ٥، و روى جماعه،

ص: ٦٥

١- ١) المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢٦١ ح ٢٠٩٢، كنز العمال ٢: ٥٨٩ ح ٤٧٩٧.

٢- ٢) صحيح البخارى ٦: ١٢٥، باب القراء من أصحاب النبي ح ٥٠٣.

٣- ٣) الإتقان (للسيوطي) النوع ٢٠ ج ١: ٧٢، لم نجده في سنن النسائي، بل وجدناه في حليه الأولياء ١: ٢٨٥.

٤- ٤) البيان في تفسير القرآن: ٢٦٩.

منهم: أحمد و الترمذى و النسائى و ابن حبان و الحاكم و البيهقى عن ابن عباس أنّ عثمان قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان ممّا يأتى عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات العدد، و كان إذا نزل عليه شىء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذا فى السورة التى يُذكر فيها كذا و كذا (١). يتضح من هذين الحديثين أنّ القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه و آله كان على شكل سور، و السورة عبارته عن مجموعه متتاليه من الآيات تبدأ ب«بسم الله» و تمضى على ترتيب معيّن، و يتضح أيضاً أنّ الآيات المختلفه النازله فى مختلف السور إنّما أخذت مواقعها الخاصه، بناءً على أوامر من رسول الله صلى الله عليه و آله عيّنت فيها هذه المواقع و حددها. و على هذا فإنّ تحديد السور و مواضع الآيات و ترتيبها كان ممّا تمّ و انجز على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و هذان الأمران يشيران إلى أنّ تدوين الكتاب تمّ بإشراف النبى صلى الله عليه و آله و علمه. أضف إلى ذلك أنّ التاريخ و الروايات تؤكّد أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان يتلو فى صلواته سوراً معيّنه، ممّا يعنى أنّ هذه السور كانت قد أخذت شكلها و إطارها الذى تحدّدت فيه بدايتها و نهايتها و تتالى الآيات فيها، و يؤيد ذلك الأحاديث المرويّه عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى فضيله قراءه السور (٢)، بل إنّ القرآن الكريم ذاته يذكر أحياناً هذا العنوان «سوره» كقوله تعالى:

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ۙ وَ الْمَقْصُودُ بِهَا سُورَةُ النُّورِ، وَ فِى مَعْرِضِ التَّحْدِى

ص: ٦٦

١- ١) كنز العمال ٥٧٩: ٢ ح ٤٧٧٠، البيان فى تفسير القرآن: ٢٦٨.

٢- ٢) راجع بحار الأنوار ج ٩٢.

و الإعجاز يقول عز من قائل: فَآتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ١ أَوْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ٢ فَإِنْ لَمْ تَكُنِ «السورة» معيَّنه و آياتها و بدايتها و نهايتها محدَّده و مشخصه، و كانت آيات مبعره على جريد النخل و الصخائف و اللحف و العسب و صدور الرجال، كيف صحَّ أن يقول القرآن: فَآتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، أو عشر سور مثله؟ و هناك شواهد كثيره على هذه الحقيقه، و إذا ما امعن النظر فى الروايات و أقوال كبار المحققين لتبددت جميع الشكوك، و قُطِعَ بَأَنَّ هذا القرآن الموجود بين أيدينا اليوم هو ذاته المصحف الذى جمعه رسول الله صلى الله عليه و آله و ألف بين آياته و سوره، و كمثل على هذه الشواهد نقل كلام أحد أعظم الشيعه، السيد المرتضى علم الهدى أعلى الله مقامه. ينقل الشيخ الطبرسى - و هو من أجلة علماء الإماميه فى القرن السادس الهجرى - فى مقدمه تفسيره «مجمع البيان» و هو من التفاسير الشيعيه القيمه، عن السيد الأجل علم الهدى مقاله فى جمع القرآن و تدوينه، و ذكر أن مقاله جاءت فى جوابه المعروف عن «المسائل الطرابلسيات»، و نحن نذكر منه هنا مقدار الحاجه ممَّا يتعلَّق بموضوعنا فقال: «إِنَّ القرآن - الموجود بين ظهرانينا اليوم هو نفسه القرآن الذى - كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، و دليل ذلك أنه كان يدرس و يُحفظ جميعه فى ذلك الزمان، حتَّى عيَّن على جماعه من الصحابه فى حفظهم له، و أنه كان يعرض

على النبي صلى الله عليه وآله و يتلى عليه، و أنّ جماعه من الصحابه مثل عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله عدّه ختمات. و كلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور و لا مبثوث، و من خالف في ذلك من الإماميه و الحشويه لا- يُعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفه ظنّوا صحّتها لا يرجع بمثله عن المعلوم المقطوع على صحّته» (١). كان هذا قول عالم محقق جليل يعود لألف سنه خلت، و بملاحظه مبنى هذا العَلَم (السَيِّد المرتضى) في عدم حجّيه أخبار الآحاد، و تصرّحه بأنّ دليله في القول على جمع القرآن و تأليفه في حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وجود روايات مقطوع بصحّتها، فمن المؤكّد أنّ هذه الروايات لا ينالها أيّ شكّ و ترديد، من هنا فنحن نتعامل مع رأي هذا السَيِّد الجليل كمستند معتبر، و نكتفي بهذا المقدار من البحث في الدليل الأوّل.

الدليل الثاني:

الدليل الثاني على جمع القرآن و تأليفه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، دليل اعتبارى يمكن تعقّله و قبوله: لا يمكن احتمال و تصوّر أنّ النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يبذل غايه جهده، و يولّى كلّ اهتمامه للآيات القرآنيه الشريفه سواء في نزولها أو حفظها،

ص: ٦٨

كان سلبياً تجاه تنظيم هذه الآيات القرآنية وجمعها، وأنه -و العياذ بالله- كان مهملاً لذلك! وهو المعجزه الخالده لبعثته و الكتاب السماوى الخاتم و آخر رسالات الله للبشرية. إنَّ النبىَّ صلى الله عليه و آله الذى قال: «إني تارك فيكم الثقلين» (١) ثم اعتبر «الكتاب» الثقل الأكبر والأول، لا يمكن القول: بأنه صلى الله عليه و آله كان يقصد من الثقل الأكبر تلك الآيات الماثوثة فى الصحائف أو المحموله فى الصدور، و أنه أوكل جمعها و فوض تنظيمها فى مصحف مرتب يعنى تمام «الكتاب» إلى غيره، فىخضع الأمر للأمزجه و الرغبات و الاجتهادات الخاصه، إن لم نقل للميول و الأهواء و الأغراض و المصالح الخاصه! إن هذا التوكيل و التفويض يستلزم المساس بالقرآن و الإخلال به، ممّا يعنى التفريط بأمر حيوى و أساسى يوقع الأمه فى فوضى و ضياع، و منع ذلك و الحثول دون وقوعه هو دور و مهمه المرسل بالكتاب، و حاشا أن يخلَّ النبىَّ صلى الله عليه و آله بواجباته و وظائفه. و على هذا فإنَّ العقل يأبى بشده فرضيه عدم جمع و تدوين القرآن على عهد النبىِّ، و أنه صلى الله عليه و آله لم ينهض بهذا الدور بل أوكله إلى غيره. و إن قلنا: بأنَّ الرسول صلى الله عليه و آله أناط هذه المهمه بأمر المؤمنين عليه السلام و هو ربيب بيت الرساله و رضيع درّ الوحي، و العليم بمواقف التنزيل و مواضع الآيات و مواقع السور، و أنّ علياً عليه السلام نفسه كان يعلن أنه يحتفظ لديه

ص: ٦٩

١ - ١) الكافي ١: ٢٣٣، الخصال ١: ٦٥ ح ٩٧، المسند لأحمد بن حنبل ٤: ٣٠ ح ١١١٠٤، المعجم الكبير للطبرانى ٣: ٦٥ ح ٢٦٧٩، و رواها المجلسى بطرق عديده فى بحار الأنوار ١٠٦: ٢٣-١٥٢.

بالقرآن النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه مودع عنده. فإن مقصود علي عليه السلام هو القرآن المحتوى على التفسير والتأويل، المشتمل على تحديد أسباب النزول وكشف الغوامض والأسرار، وبيان حقائق ما أرادت مجملات الآيات وتخصيص عموماتها، ممّا خصّ النبي صلى الله عليه وآله به ابن عمّه وخليفته من بعده من علوم. وبعبارة أخرى: أن القرآن علي عليه السلام ما هو إلّا شرح للقرآن المؤلف المجموع على عهد النبي صلى الله عليه وآله، ومثل هذا الكتاب لا يوجد إلّا عند عليّ وأئمّه الهدى عليهم السلام من بعده، وهو من شأن «الذين عندهم ما نزلت به رسل الله وهبطت به ملائكته وإلى أخيه أو جدّهم بُعث الروح الأمين» (١) الذين لا يمكن لغيرهم حملها، يتوارثونه كابراً عن كابر مع بقيه ودائع النبوه وموارث الإمامه، وهو اليوم محفوظ عند إمام العصر المهدي من آل محمّد الحجة ابن الحسن عجل الله تبارك وتعالى فرجه، الذي سيملا الأرض بعدل الكتاب وهو يطبقه آية بآية ويحكمه حرفاً بحرف.

كلام علي عليه السلام حول القرآن:

و لبيان صحّ ما ذهبنا إليه آنفاً، نحيل القارئ الكريم إلى كتاب «الاحتجاج» للطبرسي، وفيه حديث مفصّل لحوار بين عليّ عليه السلام وطلحه حول هذه الوديعه السماويه، ننقل مختصراً منه ممّا نحن بصدده.

يقول عليه السلام: «يا طلحه، إن كلّ آية أنزلها الله جلّ وعلا على محمّد صلى الله عليه وآله عندي

ص: ٧٠

١-١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧٦، بحار الأنوار ١٣٢: ١٠٢ ح ٤.

بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وكل حرام و
حلال، أو حد أو حكم أو شيء يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي حتى
أرش الخدش. قال طلحة: كل شيء من صغير و كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك
مكتوب؟ قال: نعم، وسوى ذلك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إلي في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح من كل
باب ألف باب، ولو أن الأمة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتبعوني و أطاعوني لأكلوا من فوقهم و من تحت
أرجلهم... ثم قال طلحة: فأخبرني عمًا في يدك من القرآن و تأويله و علم الحلال و الحرام إلى من تدفعه و من صاحبه من
بعدك؟ قال: إن الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه وصي و أولى الناس بعدى بالناس ابني الحسن، ثم
يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتى يرد آخرهم حوضه» (١). إذن فالكتاب
الذي لدى علي عليه السلام يحمل مواصفات، هي: ١- مدون فيه كل ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله بخط علي عليه
السلام. ٢- فيه تأويل كل آية. ٣- فيه جميع الأحكام من الحلال و الحرام: الواجبات و المستحبات، و الحدود، و كل ما يحتاجه الناس
إلى يوم القيامة، و هو من الدقة و التفصيل بحيث فيه حتى أرش الخدش. ٤- لا ينبغي لهذا الكتاب أن يقع في أيدي عامة الناس، و
لا أن

ص: ٧١

يُطَّلَعُوا عَلَيْهِ، بَلْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْصَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَافِ بِهِ عِنْدَهُ وَتَسْلِيمِهِ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَكَذَا حَتَّى آخِرِ الْأَثْمَةِ وَالْأَوْصِيَاءِ، أَيِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. بَعْدَ بَيَانِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، هَلْ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الزَّعْمَ بِأَنَّ هَذَا الْكِتَابَ هُوَ ذَاتَهُ الْقُرْآنَ الْوَاقِعِي الْمُنَزَّلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ جَوَابَ هَذَا السُّؤَالِ مُنْفِيٌّ -بِنَاءٍ عَلَى قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِأَنَّ فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ تَفْصِيلَ كُلِّ حُكْمٍ، أَعْمَمٍ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ، فَأَنْتَ لَا تَشَاهِدُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَحَسْبُ، بَلْ تَجِدُ تَأْوِيلَهَا أَيْضًا، إِنَّهُ وَدِيعَهُ يَجِبُ أَنْ تَبْقَى بِأَيْدِي أَوْصِيَاءِ النَّبِيِّ؛ لِيَكُونُوا مُحِيطِينَ بِمُطَّلَعِينَ عَلَى جَمِيعِ أَسْرَارِ الدِّينِ وَمَالَ الْأُمُورِ وَنَتَائِجِهَا. فَالْقُرْآنُ هُوَ مَجْمُوعُ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَيْنَمَا كِتَابُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْوِي إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ تَأْوِيلَ الْآيَاتِ، وَهُوَ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرِ الْآيَاتِ نَفْسَهَا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، وَالْقُرْآنُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي مَتَنَاوَلِ عَامَّةِ النَّاسِ، حَيْثُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتْلُوهُ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ، كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... ١، بَيْنَمَا يَجِبُ أَنْ تَبْقَى آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُسْتَوْدَعِ عِنْدَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَحْكَامِهِ مُحْفُوظَةً لَدَيْهِ وَلدى الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَعِيدَةً عَنِ تَنَاوُلِ النَّاسِ.

وَعَلَى هَذَا لَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ: إِنَّهُمَا كِتَابٌ وَاحِدٌ، وَلَا مَنَاصٍ مِنَ الْقَوْلِ: إِنَّ

مقصود أمير المؤمنين عليه السلام من «القرآن» شيء آخر غير كتاب الله المعهود و المجموع بين الدفتين.

خلاصه هذه الاستدلالات:

قلنا: إنَّ كِتَابَ الوَحْيِ قاموا بجمع و بتدوين الآيات و تأليف المصحف على عهد رسول الله و بأمره و إشرافه، و تعرّضنا في ضمن (مسأله و دليلين) إلى إثبات صحّ رأي من ذهب من العلماء و المحقّقين إلى أنّ القرآن الّلف و جمع كاملاً- مرتّباً في السور و الآيات في حياه رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو القرآن المتداول بين المسلمين اليوم. و على هذا، فإنّ ما نراه اليوم من مواقع السور و ترتيب الآيات في المصحف الشريف المتداول بأيدي المسلمين هو نفسه الذي كان في زمن النبيّ صلى الله عليه و آله كّل آيه في مكانها و كلّ سوره في موضعها، الذي عيّنه النبيّ صلى الله عليه و آله و دونه كِتَابَ الوَحْيِ بأمره و إشرافه. إذن فإنّ آيه التطهير يجب أن تكون في ذيل الآيه الثالثه و الثلاثين من سوره الأحزاب، و محلّها هذا كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه و آله مع ما أثبتناه من كونها آيه مستقلّه منفصله في دلالتها و شأن نزولها و المخاطبين و المعنيين فيها، لكنّها يجب أن تكون في هذا الموضع و يجب أن تتخلّل آيات النساء!

شبهه و تساؤل:

إنّ الأدلّه و البراهين التي ساقها البحث حتّى الآن إنّما أثبتت أنّ القرآن جُمع و دوّن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و بإشرافه و رقابته، و لكن يبقى هنا سؤال عن القرآن الموجود بين ظهرانينا اليوم، هل هو ذاك

الذى جمعه النبى صلى الله عليه وآله؟ أ لا- يحتمل أن الأيدى عبثت و تصرّفت فى ترتيب الآيات و مواقع السور خلال هذه الفاصله الزمنيه الممتده، خصوصاً و أن المشهور اليوم هو أن عثمان هو الذى جمع كتاب الله، حتى أصبح يُشار و يُقال: «المصحف العثمانى»؟ فإذا فرضنا أن عثمان بن عفّان قام أيضاً بجمع القرآن، فمن أين نعلم أن القرآن الموجود بين أيدينا اليوم هو الذى نهض رسول الله صلى الله عليه وآله بجمعه لا الذى جمعه عثمان؟ و عليه فإن الاستدلال على عدم التصرّف فى ترتيب الآيات من منطلق تصدّى النبى صلى الله عليه وآله لهذه المهمّه و انجازها فى حياته يبقى ناقصاً!

ردّ الشبهه:

يتسالم المحقّقون و يتفقون على أن دور عثمان كان منحصراً فى معالجه قراءات القرآن المختلّف فيها، لعلل و أهداف لا داعى لذكرها، فهو جمع القرآن لا بمعنى جمع الآيات و السور فى مصحف واحد، بل جمع الناس على قراءه واحده، و قد اختار عثمان القراءه المشهوره المتواتره بين المسلمين، القراءه التى أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب القرآن على تلك الصوره. إذن، ما فعله عثمان هو أنه أشاع و نشر نفس الكتاب الذى ألّف رسول الله بين آياته، و فوق القراءه المعروفه المتداوله، و ثبتها من بين بقيه القراءات الأخرى المختلفه- و يرجع سبب اختلاف القراءات إلى حدّ كبير إلى تفاوت اللهجات و بيئات القبائل- و قد كان أمير المؤمنين عليه السلام يحوط العمليه بالرقابه اللازمه كما جاء فى روايه سويد بن غفله: أن علياً عليه السلام قال: «و الله ما فعل -عثمان- الذى فعل فى المصاحف إلّا عن

ملاّ منّا» (١)، إذن فعثمان لم يجمع المصحف على هواه و وفق رغبته، وقد أقرّه الجميع على ذلك، و لم يعترض عليه أو ينتقد فعلته أحد من المسلمين (٢). و لعمرى ما كان عثمان و لا- غيره قادراً على مس القرآن، و تعديل مواضع السور و الآيات فيه، إذ كان المسلمون يحوطون القرآن الذى جمعه و نظّمه رسول الله صلى الله عليه و آله باهتمام و عناية ما كانت تسمح بإسقاط «واو» أو تغيير مكانها فى الآية! ففى «الدرّ المنثور»: أخرج ابن الضريس، عن علباء بن أحمر أنّ عثمان بن عفّان لَمّا أراد أن يكتب المصاحف أرادوا أن يلقوا الواو التى فى براءه و الذين يكتزون الذهب و الفضة قال لهم ابى (بن كعب): لتلحقنّها أو لأضعنّ سيفى على عاتقى، فألحقوها (٣). نعم، إنّ وجود حماه أشداء يقفون كالليوث مترصده مراقبه، على رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام، يحوطون القرآن بالرعايه و المتابعه لم يكن يسمح بالعبث و التحريف، أو بتغيير الترتيب و النظم. و يبقى الحكم التاريخى، كما ذهب بعض المحقّقين، على فعله عثمان هذه يتأرجح بين إثبات حسنه له و اخرى سيئه: فهو من جهة أنهى النزاع و الاختلاف فى القراءات، و جمع المسلمين على قراءه واحده متواتره. و لكنّه من جهة اخرى أقدم على إحراق بقيه المصاحف، و أمر

ص: ٧٥

١- ١) كتر العَمّال ٢: ٥٨٣ ح ٤٧٧٧، الميزان فى تفسير القرآن ١٢: ١٢٣.

٢- ٢) البيان فى تفسير القرآن: ٢٧٧.

٣- ٣) الدرّ المنثور ٣: ٢٣٢، الميزان فى تفسير القرآن ١٢: ١٢٣.

أهالي الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترف على عثمان في ذلك جمع من المسلمين حتى سمّوه «حزاق المصاحف»! (١). وعلى أي حال فهو لم يُدخل ميوله و يُعمل أهواءه في عمله الجمع هذه، وعلى تقدير إقدامه على شيء من هذا فإن عمله كان سيُرفض تماماً، وكان سيواجه خصوصاً من قبل أهل الخبرة و المعرفة بالقرآن الكريم، وكانوا كثيرين، وعلى الأخص مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان محيطاً بجميع خصائص و جزئيات القرآن، منها ترتيب آياته و مواقعها. إذن فإن عمل عثمان لم يتعدّ إحياء ذلك المصحف الخالد نفسه الذي خلفه النبي صلى الله عليه و آله. من هنا يتقرّر: أنّ الكتاب الموجود بين ظهرانينا هو نفسه الذي وضعه النبي صلى الله عليه و آله و خلفه بيد المسلمين قبل ما يربو على ألف و أربعمائه عام و نيف، و هكذا يتقرّر أنّ آية التطهير جاءت في سياق آيات سورة الأحزاب المشار إليها، و أنّ محلّها هو نفسه الذي نعهدده في المصاحف الشريفه.

مؤيد آخر لموضع الآية

يدعم كون آية التطهير جاءت تلو آيات النساء، و أنّ موقعها هذا كان بأمر خاصّ من النبي صلى الله عليه و آله. فبعد ما فرغنا من إثباته من استقلاله الآية و انفصالها من حيث شأن النزول و...، يتّضح أنّ تدوين هذه الآية في هذا الموقع ينطوى على سرّ لا يحيط به إلّا من خوطب بالقرآن

ص: ٧٦

و من انزل عليه و اوحى إليه، أى الرسول صلى الله عليه و آله نفسه، إذ لو كان أمر الجمع و التدوين قد أوكل إلى الناس لما أخذت الآية هذا المكان (فى ذيل الآية ٣٣ من سورة الأ-حزاب) و لما توانى القائمون على التدوين-و هم يرون أنّ الخطاب فى أوّل الآية يتوجه لنساء النبى صلى الله عليه و آله-من فصلها فى آيه مستقلّه و وضعها فى موضع يتناسب و سبب النزول و المخاطب فيها، لا أن تدمجان بحيث تحسبان فى المجموع من أوّل وَ قَرْنَ فى يُؤْتِكُنَّ - إلى آخر- تَطْهِيراً آيه واحده! و هذا ممّا يدلّ على حكمه و سرّ خاصّ أرادته النبى صلى الله عليه و آله من هذا الأمر، سنعرض له قريباً. نستعيد هنا خلاصه ما ذكرناه فى المسأله الثانيه: ١-آيه إنّما يريد الله نزلت فى دار امّ سلمه و بصوره مستقلّه. ٢-كان فى دار امّ سلمه خمسه أشخاص دخلوا تحت الكساء عند نزول الآية، و لم تكن امّ سلمه من هؤلاء الخمسه، و أنّ هذا المعنى متسالم و متفق عليه لدى العامه و الخاصه، حتّى أنّ زوجتى النبى الأ-كرم صلى الله عليه و آله امّ سلمه الفاضله و عائشه الفتاه الشابه اعترفتا بخروجهنّ عن هذا المجمع المقدّس و ملتقى الفيض الرحمانى. ٣-المتطفّلون، «القيصريون أكثر من قيصر»، الحاسدون، الذين بذلوا كلّ ما فى وسعهم لطمس الحقائق و تحريفها بجعل الآية شامله أو مقتصره على نساء النبى صلى الله عليه و آله ذهبت جهودهم أدراج الرياح. ٤-إنّ آيه التطهير جاءت لتعطى «أهل البيت عليهم السلام» حلّه من الفخر و الشرف و الفضل الذى يميّزهم عن غيرهم و يمهدهم للدور الذى سيّناط بهم فى المستقبل، دور زعامه الأمّه و هدايتها، و الهيئه الخاصه التى اقترنت بنزول الآية (التدثر بالكساء اليمانى) كان بمثابة الإشعار

و العلامة المميّزه التي تفرن النزول بالشأن، و تزيل اللبس عن أيّه مداخلات تحاول طمس حقيقه مدلول و رساله الآيه، إنّها تحديد عملي و تطبيق خارجي لمفهوم الآيه و المراد بها، و إنّ حركه دخول الخمسه تحت الكساء و نزول الآيه و دعاء النبيّ صلى الله عليه و آله و هم على هذه الهيئه الخاصه، هي حركه شبيهه بما فعله رسول الله صلى الله عليه و آله في يوم غدير خم عند ما رفع يد أمير المؤمنين - حتى بان بياض إبطيهما - و قال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» (١). ٥- القرآن كتاب منظم يبدأ بسوره الحمد، و قد انجز تدوينه و تمّ تأليف آياته و سوره على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و أنّه لم يتعرّض لأئى تلاعب، و مواضع الآيات في المصحف الحالي هي ذات المواضع و نفس المواقع التي رتبها النبيّ صلى الله عليه و آله في عهده دون تغيير أو تعديل. ٦- على ذلك، إنّ موضع آيه التطهير هو سوره الأحزاب في سياق الآيات التي خاطبت نساء النبيّ صلى الله عليه و آله، و على التحديد في ذيل الآيه الثالثه و الثلاثين التي تبدأ ب وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ و التي كانت بصدد رسم منهج و تحديد دور و تكليف زوجات النبيّ صلى الله عليه و آله. و أنّ هذا موافق و منطبق مع التأليف و الجمع الأول للقرآن.

أسره النبيّ صلى الله عليه و آله و عائلته فريقان:

بملاحظه النظم في هذه الآيات يتجلى لنا البرنامج الحكيم، و الخطه

ص: ٧٨

١- (١) الكافي ١: ٢٩٤، سنن ابن ماجه ١: ٨٨ ح ١١٦، المستدرک على الصحيحين ٣: ١١٨، كنز العمال ١٣: ١٠٥ ح ٣٤٣٤٣.

الإلهيه التي وضعها القرآن الكريم لأسره النبي صلى الله عليه وآله وعائلته، ذلك البرنامج الذي سيعم الإسلام البلاد عند تطبيقه، وهذه الخطه التي سيحتل الإسلام على إثر العمل بها مكاتته بين الأمم كمشعل هدايه للبشرية جمعاء. هذه الخطه التي سبق أن أشرنا إليها، نقف بعد المزيد من التدقيق والتحقيق على تفاصيلها. تُصوّر لنا هذه الآيات شكل أسره النبي صلى الله عليه وآله، وهي في نطاقها العائلي الكبير تُدخل جميع دُور رسول الله و من فيها من نساءه في عضويتها، وهكذا ذريته وأقرباؤه من ابنته و سبطيه إضافة إلى صهره العظيم عليهم السلام. ولكن هذه الأسره الكبيره تنقسم في الآيات إلى قسمين و تنشق إلى فريقين: فريق باسم نساء النبي صلى الله عليه وآله، ولكن لم تذكر بيوتهنّ باسم بيت النبي صلى الله عليه وآله، بل بنفس البيت الذي يسكنّ فيه فأطلق بِيوتُكُنَّ. و الفريق الثاني اطلق عليه و سمى ب أهيلَ البَيْتِ و قلنا: إن أعضاء هذا الفريق خمسة مع صاحب البيت، رئيسهم النبي صلى الله عليه وآله. و بينما نرى أن الآيات قد وضعت خطه و برنامج عمل من أجل السعاده و النجاه للفريق الأول، نجدها ميّزت الفريق الثاني و خصّته بخصوصيه انفراد بها.

البرنامج القرآني للفريق الأول

١- عدم التعلّق بالدنيا و زينتها، و عند التخلّف عليهنّ الانفصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله بتطليقهنّ. ٢- الانقطاع إلى الله و الإخلاص لذاته المقدّسه، و الطاعه

و الخضوع المطلق لرسول الله صلى الله عليه وآله، والأجر الجزيل المضاعف الذى ينتظره عند تنفيذ هذا البند. ٣-اجتناب الفواحش وقبائح الأعمال و المنكرات الفاضحه. ٤-عدم الاختلاط بالرجال و اجتناب الغرباء و الحيطه، حتى فى أسلوب الكلام و لحن الحديث بما يحصنهن عن أغراض الذين فى قلوبهم مرض. ٥-القول الممتن، و اجتناب القول المشين و الحديث الجارح. ٦-عدم التبرج و إظهار الزينه و الجلوس فى أماكن مشرفه، أو تطل على الطريق بحيث يكتن على مرأى من الأجانب. ٧-الاستقرار فى البيوت، و عدم الخروج و التجوال فى الطرق و التفسيح المريب، ثم اجتناب الدخول فى القضايا السياسيه و الشؤون العامه للمسلمين. كانت هذه نماذج من الاستنتاجات الحاصله على ضوء الآيات المبينه لبرنامج نساء النبى صلى الله عليه وآله و ما عليهن التقيد به وفق تلك الآيات، و نرى مدى الحرص و التأكيد القرآنى على تنفيذ هذا البرنامج و أعمال هذه الخطه يظهر متجلياً واضحاً بتأمل الآيه الأخيره: وَ اذْكُرْ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ١ و هى تذكرهن بالتعاليم و الإرشادات التى أمرهن الرسول صلى الله عليه وآله بها و ما تلاه عليهن من آيات الله.

الفريق الثاني المنشعب من الأسره الكبيره هو «أهل البيت عليهم السلام» و قد مرّ أن أياً من الآيات لم يشر إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله - أي الفريق الأول - على أنهم من أهل البيت إذ نسب بيوتهم إلى أنفسهم، وركز القرآن الكريم هذا المعنى في آيتين من قوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ۝ ١ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ۝ ٢. و لعل الأمر كان على هذه الكيفيه حتى يفقدن في المستقبل أي انتساب أو إضافه لرسول الله صلى الله عليه وآله أو ارتباط به، سوى كونهن أزواجه. و بملاحظه البرنامج الذي الزمن بتنفيذه و العمل به، عليهن حفظ بيوتهن وفق البنود و الشروط التي نص عليها البرنامج (اللائحه التنظيميه لهذه البيوت) بالبقاء فيها، و تجنب الخوض في القضايا الإسلاميه العامه، إذ لا صفه و لا دور أو سمه رسميه تسمح لهن بالدخول في هكذا قضايا، و في حال التخلف عن هذا البرنامج و عدم مراعاة شروطه، فإن الانتساب و الإضافه لرسول الله صلى الله عليه وآله ستسقط عنهن أيضاً. من هنا كان جواب زيد بن صوحان لعائشه في رساله التي ذكرناها (١) و اعتبره لها أمّاً للمؤمنين ما دامت في بيتها ملتزمه بالعمل ب و قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، و كان كتاب أم سلمه لعائشه المتضمن للمعنى نفسه من توقّف تحليها بلقب أم المؤمنين على التزامها البيت، و عدم الخوض في القضايا السياسيه العامه و إثارة الفتن و الحروب، و خلع

ص: ٨١

اللقب عنها عند تمردّها و نكوصها عن (اللائحه التنظيميه الداخليه لبيوت نساء النبي صلى الله عليه و آله) (١). أمّا الفريق الثاني «أهل البيت» عليهم السلام فهو موكل بمهمّه و دور ناهض بمسئوليّه و وظيفه حفظ الإسلام و قياده المسلمين و زعامتهم، من هنا خلّيت النسوة (الفريق الأوّل) و مشيئتهنّ في عدم اجتراح الآثام و ارتكاب الفواحش، و الالتزام بالبرنامج القرآني المرسوم لهنّ، و بالتالي طهارتهنّ و نزاهتهنّ، أمّا أهل البيت صلوات الله عليهم فقد نزّههم الله و طهّهم تطهيراً، و أراد بأمره أن لا يعترى نفوسهم الساميه كدر الذنب بل حتّى التفكير بالذنب، أو ينال أرواحهم العاليه لوث المعاصي، فييقون معادن خالصه مصفّاه يحقّ لها و يليق بها أن تتولّى دور الهدايه و تخلف رسول الله صلى الله عليه و آله فيه (٢). أمّا الآيات التي تحدّثت عن نساء النبي صلى الله عليه و آله فلا يستشمن منها ريح التميّز و الاصطفاء، و لكنك تجد تلك النفحه الإلهيه في قمه تجليها في إنّما يُريدُ اللهُ.. و تجد كيف تسطع شمس الكمال و تتلألأ درر الفضيله في صفوه محدّده و ثله مذكوره على وجه الحصر و التخصيص ب«إنّما»، و بتقديم «عنكم» على أهل البيت عليهم السلام، و بفتح «أهل» فالله أراد لهؤلاء، لا للنساء و لا لغيرهنّ، بل لهؤلاء الخمسه البعد عن الأهواء و الأمراض الروحيه، أراد لهذه الطبقة المتميّزه و هذا النبع و الجذر الطهاره و النزاهه و العصمه.

ص: ٨٢

١-١) راجع ص ٢٧.

٢-٢) يبقى بحث هنا حول فضل الأئمّه فيما أراد الله لهم تكويناً و ما يُثار من شبهه الجبر، و سيأتي الكلام في ذلك.

و يلاحظ من وقوع هذه الآيه بين تلك الآيات أنّ السليبه التي تعاملت بها العنايه الربانيه مع زوجات النبي اقتطعت و استثنى منها الفريق الثاني «أهل البيت» عليهم السلام، فإمكان صدور الذنب و ارتكاب الفواحش و معصيه الرسول، و الخروج من البيت و التدخّل المنهّي عنه و الخاطي في قضايا المسلمين العامه ممّا كانت تطفح به الآيات التي خاطبت زوجات النبي صلى الله عليه و آله، قد اختفت و استعيض عنها بإفاضه روحيه ملكوتيه تنزهه و تبرئ الفريق الثاني «أهل البيت عليهم السلام» من كلّ ذنب و نقص. ففساء النبي صلى الله عليه و آله لهنّ الخيار في اتّخاذ طريق السعاده أو الشقاء، أمّا أنشوده الرحمه الإلهيه و العنايه الربانيه الخاصه و فيوضاتها القدسيه فقد رتلت ألحانها الغيبه في مسامع أهل البيت خاصه، و ناجتهم أن لا يظنن أحد أنكم كنساء النبي صلى الله عليه و آله، ارحي لهنّ عنان الشطح و القى جبل الأهواء على غاربه، اللهم إلما لمن أرادت الفوز و النجاه فاعتصمت بسيله. إنّه ظنّ باطل و خيال زاهق. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ.. و على هذا، فإنّ مفاد آيه التطهير يختلف كلياً عن مفاد بقيه الآيات، فلا يمكن أن يتوجه الخطاب فيها إلى زوجات النبي الأعظم صلوات الله عليه و على آله أجمعين.

العله في ترتيب و تدوين الآيه في هذا الموضع

مع أنّ آيات البرنامج القرآني لزوجات النبي صلى الله عليه و آله كانت تشير إلى عدم تمتعهنّ بالخصوص بأيّ مقتض و أولويه، و لم تكن تحكى أيّ نوع من الاستحقاق و الكفاءه لهنّ، و لم تمنحهنّ أيّ فضيله أو مزيه، مع أنّ

كلّ هذا نزل بخصوصهنّ، كان من الممكن أن يتوهم البعض أنّ هذا يشمل جميع أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنهم جميعاً على هذه الشاكلة والنحو من الكفاءة والاستعداد والمنزلة والمقام. ولم يكن من سبيل لرفع هذا التوهم ودفع هذا الاحتمال إلّا بأن تُقحم جملة معترضه في وسط هذه الآيات على نحو الاستطراد، لتبدو كأنّها عبارة مقتطعه وضعت بين قوسين لئلا يبقى أى هامش للاحتمال، وهذا من شواهد البلاغ القرآنيّ التي تظهر في قدرته على نقل خطابه وتغيير مخاطبه بشكل مفاجئ وسريع، ففي حين توجه بالخطاب إلى فئة معيّنة (نساء النبيّ صلى الله عليه وآله) بالوعد والوعيد والتحذير من السقوط في المعصية والهوى، ينتقل بتمام التأكيد وغاية الإيقان ليخاطب فئة أخرى «أهل البيت» عليهم السلام، وكأنّه يقول: كلّاً، ليس الحال كذلك معكم أنتم، ليست كلّ الأسره من أصل واحد، وليست نفوسهم من نسيج واحد، لا ليس كذلك، إنّما «أهل البيت» عليهم السلام مستثنون، فقد طهرهم الله من الدنس وعصمهم من الزلل.

حقائق كشفها البحث

١- انتظام الآيات، أى وجود ترابط بين آية التطهير وآيات نساء النبيّ صلى الله عليه وآله. ٢- السرّ في وقوع آية إنّما يريد الله... في آخر الآيات وأن آية واذكرونا ما يتلى في بيوتكن هي بمثابة ملحق بالبنود التي سجلتها الآيات السابقة لها. ٣- دلالة آية إنّما يريد الله.. على انصباب العناية الإلهية الخاصة، وتعلّق الرعايه الربانيه على تنزيه و طهاره و علو شأن لله

خاصه من اقرباء النبي صلى الله عليه وآله اطلق عليهم «أهل البيت» عليهم السلام. ٤- وقوع الآيه فى نهايه تلك الآيات كان لدفع وهم قد يطرحه بعض من فى قلوبهم مرض.

إشكال على الاستطراد:

إذا افترضنا أن آيه إنما يُريدُ اللهُ.. مثلها مثل بقيه الآيات تخاطب جميع عائله النبي صلى الله عليه وآله وأسرتة من نساء و ذريه و صهر، فلن يعكر سياق الكلام و وحده الموضوع شىء و ستجده مناسباً على رؤيه واحده، و لكن إذا قلنا: بأن المعنيين فى آيه التطهير هم فئه خاصه من أسره النبي صلى الله عليه وآله استثنيت من عموم عائلته، فهذا ممّا يلزمه الاستطراد (و يعنى تخلل عباره خارجه عن كلام يحكى موضوعاً واحداً) (١) و حمل

ص: ٨٥

١- ١) الاستطراد: هو أن يأخذ المتكلم فى معنى، و قبل أن يتمه يأخذ فى معنى آخر. و يسميه ابن المعتز «حُسن الخروج»، و ذلك كقول حسّان بن ثابت (١): إن كنت كاذبه الذى حدثنى فنجوت منجا الحارث بن هشام ترك الأجه أن يقاتل دونهم و نجا برأس طمره و لجام فقبل أن يأتى بجواب الشرط استطرد، فأخذ يحكى ما فعله الحارث بن هشام، و بعباره أخرى: خرج من الغزل إلى هجاء الحارث بن هشام. و الاستطراد أيضاً نوع من تجميل الكلام يتلخص فى إدخال مادّه لا تتصل بالموضوع إلّا اتصالاً غير مباشر، و قد تكون وظيفتها الاستعفاف أو إثارة الغضب أو تفنيد حجج المعارضه. و الاستطراد قد ينطوى على الاتهام أو النقد أو السخرية أو المدح أو إثارة الكبرياء أو أى موضوع آخر يستطيع أن يزيد اهتمام المستمعين أو يخفف من قلقهم (٢). (١) ديوان حسّان بن ثابت: ٢١٥. (٢) معجم المصطلحات فى اللغه و الأدب/ مجدى وهبه- كامل المهندس ص ١٨.

عبارة ما على الاستطراد هو خلاف الظاهر، إذ الظاهر أن يبدأ المتكلم بالحديث حتى ينهائ بانتهاه موضوعه دون أن يتخلله كلام خارج الموضوع الذى شرع فيه، وإلا لخدش ذلك بفصاحته و بلاغته. من هنا (يزعم أرباب الإشكال) فإن عدم اعتبار آيه التطهير مخاطبه لعامة أسره النبي صلى الله عليه وآله يجعلها عبارة و جملة غريبه تخلّ بوحده الموضوع و تناسق النصّ و انسجامه، و لما كان القرآن الكريم فى غاية البلاغه و قمه الفصاحه فإنه لا يمكن الجزم بأن آيه التطهير لا تشمل جميع أفراد اسره النبي صلى الله عليه وآله لما يشكله فرض الاستطراد من مسّ و خدش بالكمال الأدبى و التمام البلاغى للنص، و هو مبنى إشكال غالبيه محققى العامة و علمائهم فى دلالة الآيه و زعمهم شمولها للنساء.

ردّ الإشكال:

فضلاً عمّا ذكرناه سابقاً و أثبتته التحقيق من أنّ الخطاب فى هذه الآيه خاصّ، و لا يصحّ و لا يعقل إلا أن يكون موجّهاً لنفر معدود معيّن، و ما اعتبرناه من كونها استطراداً جاء فى محلّه و مناسبتة لرفع الاحتمال و دفع الوهم، نقول: إنّ دخول الجملة الاعتراضيه فى الكلام لا يخدش ببلاغته، و إذا ما تسالمتنا و أذعنا أنّ القرآن الكريم غاية فى البلاغه و الفصاحه، فها هى بعض الشواهد التى تقرّ هذا الاستعمال الأدبى و تحسّنه و لا تراه مخللاً و خادشاً بتمام البلاغه و الفصاحه:

١- فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ١ فى هذا النص القرآنى نجد أن الحديث يبدأ حول مكر النساء و ينتهى بذكر ذنب زليخا و خطيئتها، و قد تخللته جملة اعتراضيه هى يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ٢- قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّهُ وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَ إِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّتِهِ فَنَظَرَهُ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ٢ و نلاحظ هنا أن بدايه الكلام و نهايته بلقيس، و بين تسلسل حديثها جاء كلام الله على نحو الجملة المعترضه كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٣- ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعِيدٍ ذَلِكُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْتَمْعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ * وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَا بِغَضٍ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَ تَتَذَكَّرُونَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ ٣ بدأ الكلام فى هذه الآيات الشريفه ببيان نفسيه اليهود و روحيتهم و عنادهم و قسوتهم،

و ختم بيان زيفهم و حاله الملامه و التوييخ المتبادله بين أفرادهم، و لكن بين مثل هذه البدايه و الخاتمه نرى عباره (كأنها بين قوسين) جاءت كتذكركه للمسلمين: أن لا تأملوا أبداً في إيمان هؤلاء و اقطعوا الرجاء في ذلك. إذن فالقرآن الذى ينصب جزء من إعجازه على البعد البلاغى فيه عمد إلى الاستطراد فى كثير من المواضع بأن بدأ حديثاً و ختمه فى موضوع واحد فى حين تخلّته عبارات و جمل خارج الموضوع و غريبه عنه، و يكفيننا ذكر هذه الشواهد الثلاثه، و لننتقل للبحث فى علل الاستطراد و أسبابه.

حول الاستطراد:

يُعدّ الاستطراد من الأساليب البلاغيه المتداوله فى الكتابه، المعمول بها فى الخطاب و التحدّث، و هو إدراج عباره أو إقحام جملة فى موضوع غريب عنها أو لا يندمج فيها كلّ الاندماج، و يهدف إلى التأكيد على تلك الجملة و إلفات النظر إليها، بحيث ما كان لها هذا البريق و الوقع على القارئ أو المستمع لو لم تكن نافرّه عن سياق غريب عنها، و هكذا قد يُراد بالاستطراد تأكيد المعنى فيؤتى بالجملة المقتطعه فى وسط الحديث الغريب عنها ترسيخاً له و إمعاناً فى بيانه. و ممّا لا شكّ فيه أنّ آيه التطهير الشريفه إنّما يُريدُ الله.. هى من هذا القبيل، الذى يلجأ إليه المتحدث بهدف إلفات النظر إليه و تركيزه فى الأذهان و بقائه فى الذاكره لأهميته و خصوصيته. ففى سياق يلفّه الوعد و الوعيد لزوجات النبي صلى الله عليه و آله، و يحفّه إثاره إمكان انحرافهنّ و سقوطهنّ فى المعصيه و التمرد على الرسول صلى الله عليه و آله، كانت ذهنيه المستمع ستخلط -على الأكثر- و تحتمل

الفرض نفسه في «أهل البيت» عليهم السلام أيضاً، هنا كان لا بدّ من خطاب يأخذ وقع الهاتف و النداء الخالد الذي يمسح جميع الاحتمالات الباطله و يقلب المعانى المحتمله، و ما كان لهذا الخطاب إلّا أن يكون على نحو الاستطراد الذي يتخلّل موقع الشبهه نفسه و يقحمه في عقر داره! فيعلم الجميع أنّ هذه الثله مطهره منزّهه لا- يتناها شكّ و لا يعترئها باطل، و أنّهم مقوله اخرى من سنخيه و نسيج آخر لا- علاقه له بالنساء و لا- ارتباط لهّن به، فلا- ينبغي القياس و لا تصحّ المقارنه و الربط، ليعلم الجميع أن «لا يُقاس بآل محمّد صلى الله عليه و آله من هذه الأّمه أحد» (١) و هكذا الأمر في آيات سوره البقره التي تناولت وضع اليهود و نفسيّاتهم، إذ كان القرآن في معرض بيان سبيل فلاح المسلمين و سعادتهم، و كيف أنّ اليهود هم أكبر مانع في طريق تحقّق ذلك، و أنّ الرجاء في هدايتهم إلى الدين رجاء عقيم و الأمل في إذعانهم للحقّ أمل خائب، من هنا جاءت عبارته في وسط العبارات التي تشرح أحوال اليهود، وُجّه فيها الخطاب للمسلمين مباشره تحثّهم على هذا المعنى، و هو أفضل أسلوب و أتمّ صيغه لإلفات النظر إلى ذلك المعنى و ترسيخه في نفوسهم. و بالجمله إنّ إشكال كون «الاستطراد» مخلّلاً بالبلاغه خادشاً بالفصاحه- لتكون النتيجة بطلانه و دخول عموم عائله النبيّ صلى الله عليه و آله أي زوجاته أيضاً في مدلول الآيه بدليل وحده السياق و عدم الإخلال به لقطع و غيره- مردود، بل إنّ من الأساليب البلاغيه المطلوبه

ص: ٨٩

والمستحسنه لما ثبت من استعمالاته القرآنيه في عدّه موارد اخرى (1). هكذا يثبت أنّ الآيات محلّ البحث قسمت عائله الرسول صلى الله عليه وآله إلى قسمين: زوجاته و ذريته، و ثبت أنّ المقصود من «أهل البيت» عليهم السلام هم الخمسه أصحاب الكساء صلوات الله عليهم أجمعين.

ص: ٩٠

١-١) عدّ صاحب جواهر البلاغه الاستطراد من المحسنات المعنويه، و قال: الاستطراد هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبه بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأوّل، كقول السّمّول: و إنّنا لقوم لا نرى القتل سبه إذا ما رأته عامر و سلول يقرب حبّ الموت آجالنا لنا و تكرهه آجالهم فتطول فسياق القصيده للفخر بقومه، و انتقل منه إلى هجو قبيلتي عامر و سلول، ثم عاد إلى مقامه الأوّل و هو الفخر بقومه. جواهر البلاغه للسيد أحمد الهاشمي: ٣٥٨.

فى قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...

فى هذا الفصل سنتناول دراسه معنى «الإراده» و المقصود منها فى الآيه الشريفه، و سنعرض فى البدايه لتوضيح معنى الإراده التكوينيّه و الإراده التشريعيّه، ثمّ نبحت هل جاء فى القرآن الكريم نوعا الإراده هذان أم لا؟

الإراده التكوينيّه

الإراده التكوينيّه- كما هو ظاهر من اسمها- عباره عن حقيقه الإراده و الحمل الشائع لها (1)، بمعنى أنّ ذات البارى سبحانه و تعالى أو الفاعل المرید من البشر له إراده واقعيه على إنجاز عمل ما. فالشخص له إرادته لتناول الطعام، و منشأ هذه الإراده هو تصوّر الشئ المراد و التصديق بالفائده و النتيجة، و وجود الميل و الرغبه ثمّ التيه

ص: ٩١

١ - ١) الشائع الصناعى: أى المتعارف فى المحاورات و العلوم و الصناعات، مثل «الإنسان كاتب» و يكون عند اتحاد الموضوع و المحمول فى المصداق و تغايرهما من جهه المفهوم، و يقابله الحمل الذاتى الأولى: فالاتحاد بين الموضوع و المحمول فى المفهوم، لكن المغايره اعتباريه كالإجمال و التفصيل و نحوه، مثل «الإنسان حيوان ناطق»...

و العزم، و بعد ذلك الاندفاع و إرادته الشئء. فهو عند ما تخطر فى ذهنه فكره تناول الطعام يستحضر فائده هذا العمل، من شيع أو لذه أو غرض صحى و طبى، ثم يصدق على صحه ذلك أى يتحقق من سلامه الفكره، و تأتى التيه و العزم على إثر هذه الرغبه النفسيه، و حينما تبلغ الرغبه قمته و يصل الشوق (١) مداه فهو «يريد» الأكل. ف «الإرادته» أمر يظهر بعد المقدمات الخمسه المذكوره التى بعضها جزء من المبادئ التصوريه، و البعض الآخر هو جزء الغايات. و حقيقه هذه الإراده التكوينيّه أمر ممكن على البارى تعالى (٢)، و من صفات تلك الذات المقدسه. و نقول: إن الله يريد، و لكن لا- على تلك المقدمات التى ابتنت عليها إرادته البشر، إذ يلزم ترتب الإراده الإلهيه على تلك المقدمات انفعال ذاته المقدسه و تأثرها، و هو ممّا مردّه إلى النقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و لكن حقيقه الإراده التى هى عين العلم و عين الذات- على حدّ تعبير المحققين- فهى من صفات ذاته المقدسه.

ص: ٩٢

١- ١) و قد يتعلّق الشوق بنتيجته الفعل لا به، كما فى تناول الدواء المرّ جداً أو فى تحمّل عمليه جراحيه خطره.
٢- ٢) ذكر العلامه الطبائى فى نهايه الحكمه ص ٣٦١: «و قد تحقق أنّ كلّ كمال و جودى فى الوجود فإنّه موجود للواجب تعالى فى حدّ ذاته، فهو (تعالى) عين القدره الواجبيه، لكن لا- سبيل لتطرّق الشوق عليه، لكونه كيفيه نفسانيه تلازم الفقد، و الفقد يلازم النقص، و هو تعالى منزّه عن كلّ نقص و عدم. (ثمّ يقول): و كذلك الإراده التى هى كيفيه نفسانيه غير العلم و الشوق، فإنّها ماهيه ممكنه و الواجب تعالى منزّه عن الماهيه و الإمكان».

و فى الإراده التكوينيه تتعلّق الإراده بفعل المرید و الطالب نفسه لا الغير، فالله يريد خلق العالم، أو إحداث زلزال، أو إفاضه الوجود على إنسان. و الشخص يريد أن يأكل، أو يمشى، أو يتعلّم أو... و لكن هناك تفاوت بين إرادته الله و إرادته الإنسان، ففي الإراده الأزلّيه للبارئ تعالى لا- يتخلّف المراد عن الإراده، و لا بدّ من تحقّق كلّ ما أرادته المرید، أمّا فى الإنسان فالإرادته و المراد قابله للتفكيك، و قد يتخلّف المراد عن الإراده و لا يتحقّق لعلّه ما.

الإرادته التشريعيه

الإرادته التشريعيه هى إرادته شخص إنجاز عمل ما وفقاً لرضاه و اختياره، كأن يريد الأب من ابنه أن يدرس، و حتّى يبلغ هذا الأمر مرحله التطبيق و التنفيذ، فإنّه يطوى مقدّمات، فالأب تحكّمه رغبه و شوق مؤكّد لأنّ ينشغل ابنه بالدرس، أو يعيش هاجس المحافظه على ابنه من التسكع و اللهو و بالتالى الفساد، و صنع مستقلّ جيّد له، هذه الرغبه تدفعه لإصدار أمر الانشغال بالدراسه و النهى عن التسكع و اللهو المنجرّ إلى الفساد. هذه الرغبه الملحّه و هذا الشوق المؤكّد الذى يستتبعه الأمر و النهى هو الإراده التشريعيه، و فى ضوء الدراسه التى تمّت حول الإراده التكوينيه للبارئ تعالى نقول: إنّ الإراده التشريعيه لله سبحانه هى الأوامر و النواهي الشرعيه.

نلمح في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تضمنت الإرادتين، نستعرض بعضها باختصار، و نذكر أولاً بعض التي تشير إلى الإرادة التكوينية: ١- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١. و الإرادة في لفظه «يريد» في الآية الكريمه من قبيل الإرادة التكوينية، و المعنى أَنَّ إرادته الباري غير قابله للتخلف، و أَنَّ كَلَّ ما يريده الله سبحانه و تعالى متحقق لا محاله. ٢- إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٢. و هذه الآية في غايه الوضوح على الإرادة التكوينية، و كيف أَنَّ الشيء يرتدى حله الوجود، و المراد يكتسب نور التحقق بمجرد توجهه العنايه و الرغبه الربانيه إليه. ٣-...إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ٣، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ* فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ٤. و جملة «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ» من مصاديق الإشاره إلى الإرادة الربانيه التكوينية، إذ بمجرد انبعاثها يتحقق المراد، و ما يريده الباري فهو ما سبق و يتحقق. كانت هذه نماذج من آيات مستفيضه تشير إلى وجود إرادته لله سبحانه، و أَنَّ هذه الإرادة مُنجزه و مُتحققه قطعاً.

و من الآيات التي تتضمن وجود إرادته تكوينيه للإنسان و إمكان تخلف المراد عن الإرادة في هذه الحالة، نذكر جملة منها:

١- يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١ .

٢- يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٢ .

و في هذه الآيات يتضح معنى أنّ الإرادة التكوينية للبشر و رغبتهم لا تتحقق دائماً، و بطبيعته الحال فهي ليست نافذة بالضرورة، و يستفاد كذلك من هذه الآيات أنّ هذه الإرادة البشرية محكومة و مقهوره بالإرادة الأزلية للبارى تعالى، و عند ما تصطدم و تتعارض الإرادتان، فإنّ ما يريد الله هو ما سيجرى و يتحقق لا ما يريد الناس.

أما الآيات التي تشير إلى الإرادة التشريعية، فمنها:

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ

وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١ . من المسلم أنّ الإرادة في هذه الآية الشريفة يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ إرادته تشريعية، أى أنّ الهدف الإلهي من جعل هذه الأحكام هو تطهير الناس، إذن فالإرادة التشريعية هنا هي وضع أحكام الطهارة من غسل و وضوء و تيمم، و الهدف هو طهاره الناس من الحدث و الخبث، و بديهي أنّ البعض سيمثل لهذه الأحكام و يعمل بها، بينما سيعرض عنها آخرون و لا ينفذونها، أمّا لو كانت إرادته إلهية على نحو التكوين لما أمكن لأحد أن يتخلف عن تطهير نفسه. و قد ذكرنا في معنى الإرادة التشريعية أنّها تتعلّق بفعل الغير على ضوء إرادته و اختياره- و في هذه الآية اضيفت إرادته الله سبحانه و تعالى إلى أفعال الناس، و غايتها أن يقوم المؤمنون وفق اختيارهم بالوضوء و الغسل و التيمم، و كون الإرادة هنا تعلّقت بفعل الإنسان، إذن لا تردّد أنّ الإرادة في هذه الآية يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ إرادته تشريعية لا تكوينية.

٢-... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...
٢. و ممّا سبق بيانه في الآية السابقة يتّضح أنّ «الإرادة» في هذه الآية من قبيل سابقتها تشريعية أيضاً، و أنّها بصدد وضع قانون

الصيام و ضوابطه المختلفه المتعلقه بالسفر و الحضر أو الصحه و المرض، بما يخفف على المضطرين، و لا يوقعهم فى العسر و المشقه، و يجعل الصيام مفروضاً على الجميع دون مراعاة للحالات الخاصه، إذن الإراده فى الآيه تتعلق بتشريع الأحكام و الفروض، و ليست هذه إلا الإراده التشريعيه بعينها.

الإرادہ فى آيہ التطهير

بعد بيان نوعى الإراده، لننظر فى آيه إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً من أى القسمين هى؟ ذهب بعض مفسرى العامه و كبار علمائهم إلى أنّ الإراده فى آيه التطهير هى من قبيل الإراده التشريعيه، و يرجع هذا الرأى إلى ما افترضوه فى أنّ مخاطب الآيه هو زوجات النبى صلى الله عليه و آله، أو ما هو أعمّ من الزوجات و أهل البيت، و ذلك لوقوعها فى سياق الآيات التى كانت تحثّ الزوجات و ترغبهنّ بأعمال معينه و تحدّد لهنّ تكاليفهنّ تجاه الرسول صلى الله عليه و آله، فافترضوا أنّ التطهير المشار إليه فى الآيه هو محصله امتثالهنّ و قيامهنّ بما امرن به، و على هذا يكون الغرض من هذا التشريع (فى الآيه) تطهير زوجات النبى صلى الله عليه و آله و أهل بيته عليهم السلام و تنزيهنّ عن الذنب و عصيان الرسول صلى الله عليه و آله، و أنّه تطهير تشريعى يعقب العمل الذى يقوم به المكلف وفق اختياره و رغبته، لا تكوينى سيتحقق بإرادته البارى عزّ و جلّ و بصرف النظر عن فعل و رغبه المكلف.

ما ذا يقول سيّد قطب فى ظلاله؟

يقول فى ذيل آيه التطهير: «فى العبارة تلطف ببيان علّه التكليف و غايته، تلطف يشير بأنّ الله سبحانه -يشعرهم بأنّه بذاته العليه-

يتولّى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم؛ وهى رعايه علويه مباشره بأهل هذا البيت، وحين نتصوّر من هو القائل -سبحانه و تعالى- ربّ هذا الكون، الذى قال للكون: كن فكان. الله ذو الجلال والإكرام، المهيمن العزيز الجبار المتكبر. وأخيراً فإنّه يجعل تلك الأوامر والتوجيهات وسيله لإذهاب الرجس وتطهير البيت، فالتطهير من التطهر، وإذهاب الرجس يتمّ بوسائل يأخذ الناس بها أنفسهم و يحقّقونها فى واقع الحياه العملي» (1). على هذا المبنى الذى يفرضه سيّد قطب فى آيه التطهير فلا سبيل أمامه إلّا اعتبار الإراده هنا تشريعيه، إذ هو يفرض العله فى التكليف إزاله الرجس والتحلّى بالطهاره، و عليه فإنّ الأوامر والنواهي التى جاءت بها الآيات السابقه للنساء كانت لتحقّق هذه الحاله، الحاله التى لن توجد و تتحقّق إلّا من خلال العمل بتلك التكليف، و من ثمّ ليست إراده البارى سوى تشريع الأحكام لهنّ، وهذا التشريع جاء لمجرّد إزاله الرجس وإيجاد الطهاره. و مع أنّ سيّد قطب يصرّح فى بعض عباراته بأنّ الله سبحانه و تعالى باشر بذاته المقدّسه تطهير أهل البيت و تولّى إذهاب الرجس عنهم، (الله الذى يخلع الوجود على مخاطبيه بمجرّد «كن» فيكونون، وهذه العبارات لا- تليق و لا تناسب إلّا شأن الإراده التكوينيّه، فالخطاب ب«كن» من أبرز مصاديق الحاله التكوينيّه) لكن الرجل فى بدايه حديثه و نهايته جعل آيه التطهير عله و غايه لفرض واجبات و إلقاء تكاليف إلهيه على نساء النبيّ صلى الله عليه و آله، و أنّ الامتثال لهذه

ص: ٩٨

التكاليف هو السبيل الوحيد للخلاص من الأرجاس و التحلّى بالطهاره، و هذا التركيب لا ينطبق إلّا مع الإراده التشريعيه التي تبين لنا أنّها متعلّقه بفعل المكلف.على هذا يمكننا القول: إنّ سيّد قطب يذهب إلى أنّ الإراده الإلهيه في آيه التطهير تشريعيه لكنّه لم يصرّح بهذا المعنى، كما أنّه جاء ببعض خصائص و مميّزات الإراده التكوينيّه و طبّقها على الآيه.

هل الإراده في آيه التطهير تشريعيه؟

بعد ما اتّضح أنّ كلتا الإرادتين-التكوينيّه و التشريعيه- مذكورتان في القرآن الكريم، نقول: إنّ الإراده في آيه التطهير تكوينيّه بعدّه أدلّه: ١-ينبغي في تحديد معنى «الإراده» و غيرها من الكلمات ملاحظه الظهور النوعى لها، و المعنى الذى يشكّل الغلبه و يحقّق لنفسه حاله الأصل، بحيث يفتقر صرفه لمعنى آخر إلى القرينه، و عند خلوّ الذكر و الإطلاق عن القرائن تُحمل الكلمه على معناها الظاهر. و ممّا لا شكّ فيه أنّ ظهور «الإراده» و شيوع استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم هو فى المعنى التكويني، بحيث يمكننا القول: إنّ المعنى المقابل، أى التشريعي (أى نفس التكاليف الشرعيه من أوامر و نواه) لم يكن فى القرآن إلّا نزرًا يسيرًا، و وفق ما تحرّيناه فإنّه من ١٣٨ موردًا ذكرت فيه «الإراده» فقد استعملت فى ١٣٥ موردًا فى المعنى التكويني (و نقصد -بطبيعته الحال- الإلهى منه و الإنسانى)، و استعملت فى ٣ موارد فقط

فى المعنى التشريعى (١). من هنا نخلص إلى أنه عند الشك فى إحدى معنئى اللفظ، فإنه يُحمل على ظاهره ما لم تكن هناك قرئنه صارفه، وهكذا عند الشك فى مدلول «الإرادة» فى آیه التطهیر، و هل المراد منها التكوئنه أم التشريعیه، فإنها تُحمل على التكوئنه لأنه مقتضى الأصل، لما ثبت من غلبه استعماله فى هذا المعنى و بالتالى ظهوره فىه، اللهم إلا أن یؤتى بقرئنه تصرفه عن هذا الظاهر و الأصل، و لا قرئنه ٢- و هناك دلیل آخر أكثر وضوحاً یحدّد معنى «الإرادة» فى الآیه الشریفه، و هو مبتن على الأساس الذى ذكرناه فى التفریق بین نوعى الإراده، و الفصل الممیز لقسمى الإراده- التكوئنه و التشريعیه- أى تعلق الفعل فى الإراده التكوئنه بالمرید نفسه لا بغيره، على عكس التشريعیه التى تعلق فیها الإراده بفعل الغیر. و فى آیه التطهیر فإن المرید هو الله جلّ و علا و المراد هو إذهب الرجس و التطهیر، و الإذهب و التطهیر فى الآیه متعلقان بالله، و هما من فعله و عمله، إذ يرجع الضمیر فى «یذهب» و فى «یطهركم» إلى الله سبحانه، و هو فاعل هذین الفعلین، و بناءً على هذا الأساس لا بدّ أن یقال: عند تعلق الإراده على فعل المرید فهى تكوئنه، و المرید هنا هو الله جلّ جلاله، فالإرادة

ص: ١٠٠

١- ١) أى بنسبه ٢ ٪ فقط، و قد قمت بإحصاء الموارد التى ذكرت فیها «الإرادة» و مشتقاتها فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن فوجدتها ١٣٨ كما ذكر المؤلف.

إرادته إلهية تكوينية وليست تشريعية، إذ تتعلق التشريعية بفعل الغير لا بفعل المرید.

تساؤل

يُثار هنا تساؤل حول ما قلناه في آية الوضوء و الغسل و التيمم و لكن يُريدُ لِيُطَهَّرَكُم ١ من أنّ «الإرادة» فيها إرادته تشريعية، مع أنّها على نفس شاكلة «الإرادة» التي جاءت في آية التطهير، و قلنا: بأنّها إرادته تكوينية، فكما «الإذهاب و التطهير» هنا- في آية التطهير- من فعل الله (المرید) فهي هناك كذلك من فعل الله سبحانه، و فاعل «ليطهركم» ضمير يعود للبارى تعالى (١).

ردّ و توضيح

المسلّم في آية الوضوء و الغسل و التيمم أنّ الله سبحانه و تعالى في مقام تشريع و وضع قوانين الطهارات الثلاث و اشتراطها في الصلاة.

و يقتضى التناسب في الوضع و التقنين أنّ المقصود من التطهير هو رفع و إزالة القذارات العالقه أو الخارجه من جسم الإنسان، و ما يتبعها من بلوغ الطهاره الواقعيه و المعنويه، و بديهيّ أنّ إزالة هذه القذارات و رفع تلك النجاسات هو فعل الإنسان المكلف لا فعل الله تعالى! و من قرينه صدر الآيه يتّضح أنّ غرض البارى تعالى هو سنّ و وضع «قانون الطهاره»، حتّى يتمكّن الناس و يعرفوا كيفيّة تطهير أجسامهم و إزالة القذارات عن أبدانهم، و بهذا نعلم أنّ «إرادته» تعالى

ص: ١٠١

١- ٢) ممّن أثار هذه الشبهه الألوسى صاحب تفسير روح المعانى، و زاد و أمعن حين قال: بل لعلّ هذا أفيد (للعصمه) لما فيه من قوله وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ وَقوع هذا الإتمام لا- يتصوّر بدون الحفظ عن المعاصى! (روح المعانى في تفسير القرآن العظيم ١٨: ٢٢).

ليست سوى تشريع هذا القانون، إذن الإرادة هنا تشريعية. ٣-وردت كلمة «الإرادة» واستعملت في الآيات التي خاطبت زوجات النبي صلى الله عليه وآله في موضعين آخرين أيضاً: **إِنْ كُنْتُمْ تُرْذِنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرْذِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ٢ ،** و المسلم أن الإرادة في هذين الموضعين تكويته (بشريه)، وهذه قرينه اخرى خاصه تؤكد مسأله ظهور المعنى فى التكوينه، و كونه الأصل فى آيه التطهير التى تلى هذه الآيات، فالإرادة هى من النوع نفسه فى جميع هذه الآيات (تكوينه) و تدور حول هذا المحور، بفارق أن المرید فى الآيتين السابقتين هو نساء النبي صلى الله عليه وآله، و فى آيه التطهير هو الله سبحانه و تعالى. ٤-من المسلم لدى الجميع (عند من قال: بأن الإرادة فى آيه التطهير تشريعيه و من قال: بأنها تكويته) أن هذه الآيه الشريفه تشكّل امتيازاً و خصوصيه و تُعتبر تشريفاً و نوعاً من التفوق و الفضل لأهل البيت عليهم السلام. فإذا قلنا: إن «الإرادة» فى آيه التطهير تشريعيه فعلياً أن نحدّد موقع التشريع فيها، و بعبارة اخرى: ما هى القوانين التى وضعها الشارع المقدّس فى هذه الآيه؟ هل تراها شيئاً آخر غير الحثّ على طاعه الرسول صلى الله عليه وآله و التوجّه للآخره و الاهتمام بها، و الإعراض عن الدنيا و عدم ارتكاب الفواحش و المعاصي؟ و هل هذه التكاليف تشكّل برنامجاً لأهل البيت عليهم السلام و نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصه أم أنها أحكام و تشريعات تشمل جميع المسلمين و المسلمات، فأين التكريم و التشريف

إذن؟ و أين التفوّق و الفضل؟! فمن يقول: بأنّ الإرادة هنا في هذه الآيه تشريعيه لا بدّ له من مخالفه إجماع المفسّرين و اتّفاق العلماء على أنّ في الآيه خصوصيّة و فضيله ما لأهل البيت عليهم السلام! إذ إنّ حمل الإرادة على التشريعيه يلغى أيّه مزّيّه و خصوصيّة لأهل البيت عليهم السلام، إذ يعود شأنهم كشأن غيرهم من التكليف بالأحكام السابقه التي ثبت وجوبها على الجميع (١). من هنا لا محيص -لمجاراه المفاد المتّفق عليه من وجود

ص: ١٠٣

١-١) قد تكون في بعض التشريعات خصوصيّة و امتياز و ما ينتزع منه الفضيله و التفوّق للمكلّفين بها، من قبيل وجوب قيام الليل على النبيّ صلى الله عليه و آله و إباحه زواج أكثر من أربعة نساء له، و زياده التكبيرات في صلاه الميّت على بعض الشهداء كحمزه بن عبد المطلب عليه السلام، و حرمة الصدقه على ذريّه رسول الله صلى الله عليه و آله. و لكن الملاحظ في الآيات محلّ البحث أنّ التشريعات التي جاءت بها لا تشكّل أيّه مزّيّه و فضيله للمخاطبين بها، و مجرد الخطاب لا يعنى أكثر من شأن النزول، و هي سيره القرآن في بيان أكثر الأحكام و التشريعات السماويه، فإذا ما شرع على سبيل المثال وجوب التوجّه إلى القبلة في جميع الصلوات و حيثما كان الإنسان إثر حادثه معيّنه (روى جابر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و آله سريه كنت فيها، فأصابتنا ظلمه فلم نعرف القبلة، فقالت طائفه منّا: قد عرفنا القبلة هي ها هنا قبل الشمال و خطوا خطوطاً، فلما أصبحوا و طلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبيّ صلى الله عليه و آله عن ذلك فسكت فأنزل الله تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» (٢، ١) فهل يعنى أنّ لهؤلاء النفر فضيله أو مزّيّه اكتسبوها بكونهم سبباً لبيان الحكم و شأناً لنزول الآيه؟ كلما بطبيعه الحال. نعم، قد يقال: إنّ مضاعفه الأجر عند الإحسان و مضاعفه العقاب عند الإساءه ممّا ورد في الآيات يمكن عدّه نوعاً من التميّز لنساء النبيّ، و لكن لا - يخفى أنّ هذا التميّز خارج عن نطاق التشريع و لا يمس الوضع القانوني، و أنّه يتعلّق ببعده آخر هو نتيجة العمل، لا العمل (التكليف المتعلّق بالتشريع) نفسه ممّا لا يُعالج الثغره و الإشكال على القائلين بالإرادة التشريعيه هنا. ١- سورة البقره ١١٥.٢: ٢- مجمع البيان ١: ٣٢٠، بحار الأنوار ٣١: ٨٤.

خصوصيته و فضيله في الآيه-من الإذعان بأن الإرادة في آيه التطهير ليست تشريعيه بل تكوينيه. ٥-ذكرنا آنفاً أن الآيات قسّمت عائله النبي صلى الله عليه و آله إلى فريقين: الأول: مجموعته زوجات النبي صلى الله عليه و آله، وقد فرض عليهنّ برنامج تربويّ معيّن، و بينت الآيات أن العمل بهذا البرنامج هو السبيل لبقاء انتسابهنّ لرسول الله صلى الله عليه و آله و ارتباطهنّ به، و إلّا فمصيرهنّ الطرد و الانفصال عنه. الثاني: هو أهل البيت عليهم السلام الذين تُعدّ العدّه لهم ليتبوءوا زعامه المسلمين و قياده خط الهدى و الدين، و أن الله سبحانه هو الذى يتولّى هذا الإعداد و ينهض باصطفائهم و هو يطهرهم عن الرجس و ينزّههم عن المعصيه، و على هذا فإنّ آيه إنّما يريد الله.. جملة اعتراضيه -كما أسلفنا- جاءت فى وسط آيات النساء، انصبت رسالتها و دار محورها على تسجيل ظاهره معنويّه و حقيقته هي إرادته إذهاب الرجس عن هذا الفريق و تنزيهه. إذن فالإرادة هنا لا علاقه لها بأى نحو بالأحكام التي سبق تشريعها فى سائر الآيات، و لا يمكن للآيات التي خاطبت زوجات النبي صلى الله عليه و آله أن تكون قرينه على الإرادة التشريعيه فى آيه التطهير، بل هي باقيه على معناها التكويني، و تُحمل على أصلها و ظاهرها الذى كانت عليه.

نعم، قد يسأل سائل: كيف صنفتكم هذا التصنيف و على أى أساس جعلتم «أهل البيت» فريقاً خاصاً منحصرأً بالساده الخمسه صلوات الله عليهم؟...و فضلاً عما سبق بيانه، فإنّ جواب هذا السؤال سيأتيك مفصلاً.

حديث مع الآلوسى

مع أنّ شهاب الدين محمود الآلوسى-مفتى بغداد المتوفى سنة ١٢٧٠-ذهب إلى أنّ «الإراد» فى آيه التطهير إرادته تكوينيه، لكنّه فى الوقت نفسه طرح إشكالاً على ذلك و تعاجز عن ردّه مكتفياً بالإثارة! إذ يقول: «...و قد يُستدلّ على كون الإراده هاهنا بالمعنى المذكور (التشريعيه) لا المشهور (التكوينيّه)، الذى يتحقّق عنده الفعل بأنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم قال حين أدخل عليّاً و فاطمه و الحسنين رضى الله تعالى عنهم تحت الكساء: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» فإنّه أىّ حاجه للدعاء لو كان ذلك مراداً بالإرادته بالمعنى المشهور (التكوينيّه)، و هل هو إلّا دعاء بحصول واجب الحصول؟» (١). و حتّى لا نكون مثل الآلوسى الذى ترك سؤاله معلّقاً دون إجابته! نقول: سبق أن أثبتنا أنّ سياق الحديث و تركيب الكلام يُظهر أنّ عبارته

ص: ١٠٥

١-١) روح المعانى فى تفسير القرآن ١٨: ٢٢.

«اللهم هؤلاء...» في دعاء الرسول صلى الله عليه وآله جاءت لتحديد و بيان من هم المقصودون من «أهل البيت» عليهم السلام، فهو صلى الله عليه وآله يخاطب ربه و يحدّد في خطابه أنّ «هؤلاء هم أهل بيتي» حتّى يعرف الناس من هم أهل البيت، و من هم الذين أراد الله تطهيرهم و إذهاب الرجس عنهم (1)؟ و إلّا فإنّ الإشكال (سؤال الألوسى) نفسه، بل ما هو أكبر منه سيرد على الدعاء إذا ما افترضنا أنّ الإرادة الإلهية في الآية تشريعيّة و ليست تكويّتيّة! فما معنى أن يقول النبيّ صلى الله عليه وآله و يدعو (و يكون معنى دعائه على فرض الإرادة التشريعيّة): «اللهم اجعل أهل بيتي مشمولين بأمرك و نهيك، و أبعدهم عن الآثار السلبية للنواهي بتشريع النهي و فرضه عليهم!؟» أ و ليست الآيات متوجّهة بالأصل بالخطاب و التكليف إليهم؟ حتّى يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله و يتوجّه بالدعاء لله سبحانه أن: إلهي أشمل أهل البيت بهذه التكاليف! أ ليس هذا هو الفرض (على القول بالإرادة التشريعيّة)؟

حديث آخر مع الألوسى

مع ما يلاحظ على صاحب تفسير «روح المعاني» من مستوى

ص: ١٠٦

١ - ١) هذا هو غرض النبيّ صلى الله عليه وآله من هذا الدعاء، و إلّا فنتيجته و ثمرته من حيث التحقّق تحصيل حاصل (و قد اوفى المطلب حقّه في مواضع اخرى من البحث، فراجع الصفحات السابقة)، و قد يكون هناك وجه آخر لمثل هذه الأدعية (المضمونه النتيجة) هو الإقرار بالفقر و الحاجة لاستمرار الفيض و مواصلته و دوام العطاء الإلهي، فالداعي يعلم أنّ الله خلع عليه الوجود و أفاض عليه الجوارح و وهبه النعم تكويناً، و لكنّه يسأل الله و يدعوه استمرارها و مواصلة الإنعام بها و عدم زوالها، و قد يُنزّل الدعاء في مثل هذه المواضع منزله الشكر و الحمد على النعمه.

علمى لا- بأس به و ما يُسجل له-عند مقارنته بعلماء العامه-من حظّ و نصيب فى العلم و التحقيق،لكن يظهر أنّ التعصّب يعمى الإنسان و يشطط به فى متاهات غريبه! فالرجل يذهب إلى أنّ«الإراد»فى الآيه تكوينيه،و أنّ عبارته «أهل البيت»عليهم السلام تعنى و تشمل الخمسه أصحاب الكساء صلوات الله عليهم،و عند ما يقف على مدلول الآيه و مفادها، و أنّ الثمره و النتيجة العلميه التى تخلّص منها هى عصمه علىّ و بنيه عليهم السلام و طهارتهم و فضلهم،فإنّ هذه الحقيقه الناصعه و الآيه الناطقه تهزّ الآلوسى و أضرابه بشدّه و تربكهم و توقعهم فى اضطراب! و من هنا نجد كيف يورد التعصّب صاحبه المهالك،و كيف يقع الآلوسى هنا فيما يفقده توازنه و رصانته و يخرجّه عن طوره! فيسعى سعى العاجز و يتعسف فى توجيه الآيه ليصرف هذه الفضيله عن أهل البيت عليهم السلام و يخرجهم عن غطاءها!خلاصه محاولته،و موجز كلامه: «...لأنّ المعنى حسب ما ينساق إليه الذهن و يقتضيه وقوع الجملة موقع التعليل للنهى و الأمر نهاكم الله تعالى و أمركم؛لأنّه عزّ و جلّ يريد بنهيكم و أمركم إذهاب الرجس عنكم و تطهيركم و فى ذلك غايه المصلحه لكم،و لا- يريد بذلك امتحانكم و تكليفكم بلا- منفعه تعود إليكم،و هو على معنى الشرط،أى يريد بنهيكم و أمركم ليذهب عنكم الرجس و يطهركم أن انتهيتم و ائتمرتم،ضروره أنّ اسلوب الآيه نحو اسلوب قول القائل لجماعه علم أنّهم إذا شربوا الماء أذهب عنهم عطشهم لا محاله،يريد الله سبحانه بالماء ليذهب عنكم العطش،فإنّه على معنى يريد سبحانه بالماء إذهاب العطش عنكم إن شربتموه،فيكون المراد

إذهاب العطش بشرط شرب المخاطيين الماء لا الإذهاب مطلقاً.

فمفاد التركيب فى المثال تحقّق إذهاب العطش بعد شرب الماء، و فيما نحن فيه إذهاب الرجس و التطهير بعد الانتهاء و الائتمار؛ لأنّ المراد الإذهاب المذكور بشرطهما، فهو متحقّق الوقوع بعد تحقّق الشرط و تحقّقه غير معلوم، إذ هو أمر اختياري و ليس متعلّق الإراده» (١).

جواب موجز:

١- إنّ الاعتراف بكون «الإرادة» من القسم التكويني، ثمّ تعليق ذلك على شرط الطاعة فى الأوامر و النواهي هو تراجع و عدول عن هذا الإقرار و الاعتراف، و بعبارة اخرى: فإنّ فرض تلازم بين الإراده التكوينية و الطاعة هو بمثابة تحايل على القول بالإرادة التكوينية، و يُعدّ تقريراً و إمضاءً ضمناً بأنّ الإراده فى الآيه هى إرادته تشريعيه، إذ إنّ المعنى -بلحاظ ذلك الشرط- يغدو: إنّ الله كلفكم بأوامر و نواه و تعلّقت إرادته فى تطهيركم على عملكم بتلك التكاليف تماماً، كما تتعلّق إرادته الله فى سمو الإنسان و تكامله الروحى على أداء الصلاة، ف«الصلاه معراج المؤمن» (٢). إذن فالبارى تعالى أراد «الأهل البيت» عليهم السلام الامتثال لأوامره و نواهيه حتّى يطهّروهم، كما أراد للإنسان أن يصلّى حتّى يعرج إليه، و لعمري هل تعنى الإراده التشريعيه غير هذا؟! بناءً على ذلك فإنّ

ص: ١٠٨

١- (١) روح المعانى فى تفسير القرآن ١٩: ٢٢.

٢- (٢) بحار الأنوار ٢٤٨: ٨٢ ح ١ و ص ٣٠٣ ح ٢.

لازم تلك الملازمه عدول الآلوسى عن القول بأن «الإرادة» فى آيه التطهير تكويته. ٢- تكرر القول بأن آيه التطهير جاءت بين الآيات على نحو الجملة الاعتراضيه، ومعنى ذلك أنها أجنبيه و غريبه عما سبقها و لحقها من الآيات، و أثبتنا أن هذا من الصور البلاغيه التى لها عدّه أمثله فى القرآن الكريم، على هذا فإن الجملة الخارجيه لا- يمكنها أن تكون تعليلاً و شرطاً للآيات التى تكفلت الأوامر و النواهي. و قد أجبنا بالتفصيل آنفاً على ما قد يثيره الآلوسى و أضرابه هنا من شبهه مناسبه التدوين و إقحام آيه التطهير فى هذا الموضوع، و لا داعى لتكرار القول بأن الآيات قسّمت عائله النبىّ صلى الله عليه و آله إلى فريقين و لم يكن أنسب من هذا الموضوع لبيان الفرق و استثناء «أهل البيت» عليهم السلام من مظانّ الانحراف و العصيان، و ما اثير من احتمالاتٍ بحق زوجات النبىّ صلى الله عليه و آله لقطع الطريق على المغرضين من خلال دفع هذا الوهم، فأهل البيت عليهم السلام ليسوا كزوجات النبىّ صلى الله عليه و آله، و لا- تنبغى و لا- تصحّ المقارنه بينهما، و لم يكن أفضل من هذا الموضوع لهذه الآيه حتى تؤدى ذلك الدور. ٣- إذا افترضنا الملازمه و قلنا: إنّما تتحقّق إرادته البارى فى تطهير «أهل البيت» عليهم السلام عند امتثالهم لأوامر الله و نواهيهِ، فإنّ ذلك ينفى و يلغى أى امتياز و فضيله تقرّرها الآيه لهم (و من المتفق عليه بين الجميع أنّ الآيه تشكّل فضيله و منقبه خاصّه «لأهل البيت» عليهم السلام؛ لأنّ القاعده ساريه على جميع المسلمين، فإذا ما أطاعوا الله فإنّ النتيجة ستشملهم).

و هل من الممكن أن يلازم التقوى مسلم و يطيع رسول الله صلى الله عليه و آله و يتجنّب القبائح ثمّ لا- يكون محللاً لعنايه الله تعالى، و لا يتطهّر و يبقى ملوثاً

بالأرجاس؟! هل يصحّ حصر نتیجه تلك المقدمه فى «أهل البيت» عليهم السلام فقط بحيث لو كانوا كذلك لأصبحوا هكذا؟! أ لا يشكّل هذا حاله من التفرقه و عدم المساواه؟! أ لا يخلّ بالموضوعيه و العداله التى تفترض انطلاق الجميع فى طريق السلوك و الرقى الروحى من نقطه بدء واحده، و تتاح لهم الفرصه على السواء بما يمكنهم نيل الأجر و الرحمه و اللطف الإلهى على قدر السعى و الإخلاص؟! أ لا يعنى هذا أنّ الإسلام لا يفسح مجال التكامل و أسباب نيل السعاده و كسب الرضوان الإلهى أمام الجميع على السواء؟! و إذا قال الآلوسى: إنّ الوجه الذى تميّز به «أهل البيت» عليهم السلام هو أنّ الله سبحانه اختصّهم بالمزيد من العنايه و الاهتمام فى قبول أعمالهم، و أنّ آيه التطهير تزيدهم أملاً و تفاؤلاً فى قبول صالح أعمالهم، ممّا لا يחדش بالمساواه و لا يثير الإشكال السابق. فنقول فى الردّ عليه: ما هو الدليل على هذا المدعى و من أىّ مواضع الآيه الشريفه أنتزع هذا المعنى؟! و لعمري هل علينا أن نختلق و نتعسف إلى هذا الحدّ لنبرّر أوهام و مدّعات ما أنزل الله بها من سلطان؟ فأين الأمل و المزيد من التفاؤل فى قبول الأعمال من التطهير و إذهاب الرجس؟! هل الآلوسى بصدد تفسير الآيه و استخراج مدلولها أم أنّه يريد تلفيق و تركيب معنى ينطبق على رأيه و يتوافق مع ما توهمته مخيلته؟! إنّ البحث العلمى، و خصوصاً فى تفسير الآيه القرآنيه يقتضى الموضوعيه و الحياد، بحيث يدخل المفسّر البحث و هو خالى الذهن من قرار مسبق و عقيدته مُتّبناه، فينظر فى الآيات إلى ما يؤيد رأيه و يحملها

المعنى الذى يريد،و إذا ما اعترضته آيه لا توافقه راح يحتال بكل حيله و يتعسف فى تأويلها و تفنيد مدلولها حتى يتحقق مطلوبه! إن لهذه المسأله أهميه كبيره فى فهم الأهداف القرآنيه الساميه،و على المفسر أن ينصاع و يتوافق مع المقاصد القرآنيه لا- أن يتلاعب فى المعانى و يقلبها حتى يبلغ مراده هو.و على كل حال و بالنظر لما سبق،يظهر بما لا يقبل الشك أن الإراده فى آيه التطهير-بناءً على الظهور النوعى-هى إرادته تكوينيه، و هى لطف إلهى خصّ به فريق «أهل البيت»عليهم السلام من عائله النبى صلى الله عليه و آله بهدف إعداد هذه الثله لدور حفظ الدين و قياده المسلمين،و ما يشكل امتداد خط الهدى بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله،و هذا المعنى و الرأى موافق لظاهر الآيه و لا يستلزم أى تأويل و تعسف.

الإرادته التكوينيّه و الجبر

ظنّ جماعه أنّ القول بالإرادته التكوينيّه يثير شبهه الجبر و لا يسمح بمعالجه مُقنعه لها،فعند ما تتعلّق إرادته البارى الأزليه بطهاره «أهل البيت»عليهم السلام،فإنّ عصمتهم حتميّه و وقوع الذنب منهم محال عقلاً؛لأنّ المراد لا- يمكنه أن يتخلف عن المرید(اللّه)،إذن صدور المعاصى عن «أهل البيت»عليهم السلام غير ممكن بل ممتنع،و هم مجبورون على الامتناع عن الذنب،مسيرون على الطاعه فلا فضل و لا فخر لهم! (١).

ص: ١١١

١ - ١) الإشكال لا يختصّ بهذا المورد(آيه التطهير)فقط،و إنّما يشمل جميع القضايا الأزليه كاختيار الأنبياء و منح الاستعدادات الأوليه و الكمالات الخلقيه من جمال الهيئه و سلامه الحواس و الفطنه و الذكاء،بل و صفاء الروح و اعتدالها.

لقد سلك العلماء و طوى المحققون طرقاً شتى لمعالجه شبهه الجبر و التخلّص من هذا الإشكال العويص (١)، و نحن يمكننا هنا اللجوء إلى اتجاه آخر فى البحث هو إخراج الآيه من مورد الشبهه أصلاً، و هو ما يغنينا عن ولوج مسأله الجبر و تخريجاتها، و بشىء من التدقيق فى مفاد الآيه الشريفه نرى أن لا وجود للشبهه حتّى نبحت عن مخرج لها!

ص: ١١٢

١-١) نشير باختصار إلى بعض الردود و الحلول التى يطرحها علماءنا لهذه الشبهه: منها: أن الله اطلع فى علمه فرأى عبادتهم و خلوصهم و كمالهم، و وقف بعلمه على ما سيلغونه من مراتب القرب فخلع عليهم العصمه، فهى إذن عن جداره و استحقاق، و لمقابل قاموا بأدائه (فى علم الله). و منها: أن الأمر منوط الظرف و الوعاء، من حيث إن مبدأ الحقّ فياض و الخير متدفق منه غير منقطع، و إنّما يغترف كلٌّ على قدر إنائه و وعائه، و ما يحصّيون عليه من عصمه و علم و كرامه و... إنّما اغترفوه من بحر جود البارى عزّ و جلّ، و استحوذوا عليه لسموهم و علوهمهم و لم يكن الخالق ليخل على أحد، فقد وهب الله العصمه للجميع و لكن من تلقاها هم الأئمه و الأنبياء عليهم السلام فقط، إذن هو نتيجة سعى و وفق أساس لا- يخذش العدالة الإلهيه و لا يناله الجبر. و من الآراء فى هذا الباب، أنّهم صلوات الله عليهم كانوا قبل قانون العمل و المجازاه، حيث كانوا و لم يكن شىء، و قد تواترت الروايات فى هذا المعنى (من قبيل ما جاء فى الزياره الرجيه و الزياره الجامعه الكبيره)، و ما قام عليه الدليل الفلسفى من أنّهم العقل و الفيض الأوّل حيث الفضل للمقام لا- العمل، فكما لايت العصمه و العلم و الولايه من مستلزمات ذلك المقام و مقتضياته، فهم التجلّى التام لله و لا بدّ للمرآه التى يتجلّى الله فيها أن تكون صفاءً تاماً و طهراً كاملاً خاليه من أى كدر للمعصيه، و إلّا لفقدت صلاحيتها كمجال للتجلّى الإلهى، و هناك وجوه و معالجات اخرى.

بما ذا تتعلّق إرادته الحقّ تعالى في الآيه الكريمه؟ إذا كان متعلّق الإراده هو «إبعاد» الرجس و الذنب عن «أهل البيت» عليهم السلام لا منعهم عن ارتكابه و الوقوع فيه هل يبقى لشبهه الجبر محلّ؟ إذا كان مفاد الآيه هو أنّ البارئ أراد إضفاء الحصانه من الذنوب على «أهل البيت» عليهم السلام و أنّه تعالى متولّى هذا الأمر و القائم على تحقيقه لكان للشبهه محلّ، و لكن بشيء من التأمل في الآيه نرى أنّ القرآن الكريم يقول: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ. إنّ إعراب كلمه «لِيُذْهِبَ» هو مفعول به، و هي ذاتها التي جاءت في آيات اخرى تارةً محلّاه ب«اللام» و تارةً ب«أنّ»، على سبيل المثال، فقد جاءت في سوره التوبه: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ١، و في السوره نفسها: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا ٢، و بملاحظه الآيتين يتبيّن أنّ «اللام» في الآيه الأولى ليست للغايه بل هي بمعنى «أنّ»، التي جاءت في الآيه الثانيه، و لا ترديد في أنّ أنّ يُعَذِّبَهُمْ في الآيه الثانيه هي مفعول به للفعل «يريد» (على التأويل بالمصدر، أي: يريد عذابهم). و هكذا في مواضع اخرى من القرآن الكريم: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ٣، و من هذا القبيل الآيه: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ٤، و نستنبط من هذا التفاوت في التعبير اتحاد المعنى بين

«اللام» و«أن» في مثل هذه الموارد، وبالنتيجة هو مفعول به للفعل «يريد الله». وبهذا البيان اتضح أن متعلق الإرادة في آية التطهير هو الإذهاب المراد به الإبعاد، أي أن الله أراد إبعاد الرجس عن «أهل البيت» عليهم السلام، بمعنى إيجاد فاصل بينهم وبين المعاصي والأرجاس، إذن التدخّل الإلهي كان من هذه الزاوية فقط، تدخّل يوجد مسافة تفصل بين المعاصي و«أهل البيت» عليهم السلام، فلا تدنو منهم المعاصي ولا تقربهم الأرجاس.

على هذا فإن إرادة الباري لم تنعقد على عدم فعلهم الذنوب بل على إيجاد المسافة الفاصله التي تنزههم و تبعدهم عن الذنوب. و الوضع المقابل لهذه الحالة هو وجود قرب بين بعض الأشخاص و بين المعاصي و الذنوب، هناك اناس يقفون دائماً على أعتاب المعاصي و الأرجاس، و هذا الموقف و هذه الحالة هي مدخل التعاسه و مبعث الشقاء، من هنا فإن القرآن ينهى عن الاقتراب من الذنوب حيث لا يعود ثمه فاصل بين الاقتراب من الذنب و اقترافه! و ذلك في قوله تعالى:

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ ۙ ١. إذن فمفاد آية التطهير هو إبعاد الرجس عن «أهل البيت» عليهم السلام (و سيأتي معنى الرجس)، و لا يخلو-بطبيعته الحال- هذا «الإبعاد» من عناية و لطف إلهي اختصّ به هؤلاء صلوات الله عليهم، و لكنّه لا يعنى

بأى حال من الأحوال سلبهم الإرادة و الاختيار و عدم صدور المعصيه عنهم جبراً، إنَّ الفصل بين الإنسان و الذنب ليس جبراً بل هو توفيق، و لم يشمل البارى تعالى الجميع بخاصه عنايته و مخصوص لطفه، إنَّه توفيق و فضل إلهى لا يؤتیه الله إلا من يشاء و لا يلقاه إلا ذو حظّ عظيم. لقد مضت الثنيه و الحركه الاجتماعيه لبعض الأفراد على نحو جعل حياتهم أقرب ما تكون لأجواء المعصيه و فى معرض الفساد و متناوله، فيعيشون إلى جوار الخمارات و فى أوساط تعجّ بدور اللهو و الرذيله، حقاً إنَّه لسوء توفيق و تعاسه تلازم عالم و مجتمعات اليوم حيث يعيش الناس فى بيئه فاسده و محيط يغطّ بالفسق و الفجور، و لكننا نجد أنّ فى وسط هذا العالم المضطرب العاصف بالفساد مَنْ مَنْ الله عليه و لطف به ففصل بينه و بين هذا الخضم المتلاطم و نجاه من الوقوع فى المعاصى، لا شكّ فى أنّ هؤلاء مشمولون بلطف و عنايه إلهيه خاصه، و هكذا «أهل البيت» عليهم السلام الذين شملتهم بلطف الرحمن -جلّ و علا- أعظم عنايه بظهور فاصل أبدى بينهم و بين مطلق الرجس، فانصرفوا عن توافه الأمور و أصبح بينهم و بين المعاصى بون شاسع لا تطويه ملايين الفراسخ، فلا يتلوّثون بالذنوب و لا تنالهم المعاصى، و لكن هذه الطهاره عن الذنب ليست أمراً قهرياً اجبر عليه «أهل البيت» عليهم السلام، بل لما كانت أرواحهم الساميه تسبح فى بحر الفضيله و الطاعه بعيداً عن المعاصى و الذنوب، فإنّ المعاصى و الذنوب -المُبعده و المنفيه- لا -تجد سبيلاً- و لا -تعثر على منفذ و ملمز يمكنها من اختراق الحُجب الفاصله بينها و بين تلك الأرواح الطاهره، فلا يعتري ضمائرهم شىء من شوائب الأرجاس و كدر المعاصى! على هذا فإنّ دور الإراده الإلهيه كان مجرّد إيجاد الفاصل بين

«أهل البيت» عليهم السلام و الرجس (1) لا تحصينهم من الذنوب على نحو يسلبهم الاختيار و يُدخل الأمر في الجبر، و الفصل - بطبيعته الحال - هو من قبيل اللطف الخاصّ و العناية، و هو ما يُعبّر عنه بـ «التوفيق»، و لا يصحّ بحال أن يوسم هذا التوفيق بالجبر. و للمزيد من الدراسة لهذا المبحث الدقيق سنعرض في الفصل القادم للمبحث في معنى الرجس.

ص: ١١٦

١ - ١) و هذه الحالة ليست ضرباً من الإبهام و الوضع الغريب، بل هي حالة معهوده و معروفه عند سائر المؤمنين، و تشكّل أملاً و أمنيه دائمه يرجونها، فيكثرون في أدعيتهم و يسألون الله سبحانه إبعاد الأرجاس و الذنوب عنهم، و يدأبون على الاستعاذه من «إبليس» مصدر الأرجاس و الذنوب «نعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، و الرجيم أي: المطرود و المنفى المُبعد.

ذكرت كلمه «الرجس» فى عشره مواضع من القرآن الكريم ضمن آيات مختلفه، و بشىء من التدقيق فى هذه الآيات العشر يتضح معنى الرجس. و للرجس بطبيعته الحال معنى عام جامع هو الشىء المستقدر، و لكن إطلاق الرجس فى القرآن الكريم شمل منابع القذاره المتعدده و استعمل بلحاظ المنشأ الذى ينبعث منه التلوث الروحى أيضاً. على سبيل المثال فى الآيه: ...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١ أطلق الرجس على الخمر و القمار و الأصنام و أعواد الخشب التى كان أهل الجاهليه يتخذونها على هيئة السهام و يقتسمون بها(الأزلام)، و قد حمل هذا المفهوم على تلك الذوات الأربع بلحاظ أن تلك الموضوعات عوامل يستتبعها الرجس و ينشأ عنها، و يشهد على ذلك الآيه التاليه:

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ٢ .

و من هاتين الآيتين يتضح معنى الرجس: فالخمره تذهب العقل، و المقامرہ تورث العداوه و تزرع الخسہ و الدناءه، و ذهاب العقل يجعل النفس مرتعاً للذائل، و بالنتيجه تصاب الروح بالغفله و تصبح و كراً لعبث الشيطان، فيحرم الإنسان عن التكامل الروحي و السموّ الأخلاقي، و قد اطلق على هذه الظواهر (زوال العقل و نمو الرذيله) في لغه القرآن «رجس» بلحاظ عامل بروزها و منشأ ظهورها و هو الخمر و الميسر و...، باعتبار آثارها التي تتحقق عند ممارستها و ارتكابها، و لذا جاء في ذيل الآيه من عمَلِ الشَّيْطَانِ أى أنها تأتي بتحريض منه، و أنّ غرضه من ذلك هو ما ذكرته الآيه ٩١ أنّ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةَ..، بناءً على ذلك فإنّ الرجس الحقيقي هو تلك النتائج المترتبة على ارتكاب هاتيك الأفعال و ما ينتظره الشيطان منها! أمّا الآيه الأخرى من سوره الأنعام فقد عبّرت عن ضيق الصدر و انقباض النفس ب «الرجس» إذ يقول تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١ و يلاحظ أنّ الآيه عبّرت عن ضيق الصدر ب «الرجس»، و أنزلته منزله. إذن فالروح الكدره بالمعاصي المضطربه بالآثام، المنقبضه التي تعيق القدرات تنفّسها الصحيح، كالمصابين بالربو و ضيق

التنفّس!... تُسمّى رجساً فالروح التي استحوذت عليها الأرجاس روح نسجتها القبائح، هي روح تعيش حياه مأساويه، و تجدها عاصيه متمرّده على تطلّعات النور و منقبضه عن إشراقات الحقّ في الحياه الإنسانيه يعسر عليها هضم الحقائق و فهم البيّنات. و تراها في الجبهه المقابله-على النقيض من ذلك روحاً مفعمه بالحياه، تتحلّى بأرضيه خصبه، تسبح في صدر رحب يتلقّى الحقائق ببسر و سهوله و يهتدى لنورها في رفق و دون تكلف. و نرى-بتناسب ما-أنّ آيه اخرى تعبّر عن الأمراض الروحيه و الآفات القلبيه، كالبخل و الحسد و الحقد و الجهل ب«الرجس» أيضاً، يقول الله تعالى: وَ إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ ١ ، فالآيه تقرّر أنّ ذوى الأرواح المريضة و الأنفس السقيمه يزدادون علّه و سقماً كلّما نزلت سوره من القرآن، و أنّ الداء القلبي يستفحل في نفوسهم بتراكم الأمراض و الأرجاس حتّى يصابوا بالكفر و الإلحاد، و من التعبير «فزادتهم رجساً إلى رجسهم» المسبوق بقوله تعالى: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَثْبُتُ أَنَّ المرض النفسى و الآفه الأخلاقيه هي أيضاً «رجس». و ممّا ذهب إليه ابن عبّاس، و هو المفسّر الكبير و أحد تلاميذ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، في معنى «الرجس» المذكور في آيه التطهير، حيث فسره بالمرض القلبي و السقم الروحي، ففي محاوره له مع عمر بن الخطّاب يرد عليه مقالته التي ذكر فيها بنى هاشم بالسوء، إذ قال عمر: «على رسلك يا ابن عبّاس! أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلّا غشّاً في أمر قريش لا يزول

و حَقْدًا عَلَيْهَا لَا- يَحُولُ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَهْلًا... لَا تَنْسَبُ هَاشِمًا إِلَى الْغَشِّ، فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مِنْ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي طَهَّرَهُ اللَّهُ وَ زَكَّاهُ، وَ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (١).

نتيجة البحث:

اتَّضَحَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الرِّجْسَ دَاءٌ يَصِيبُ الرُّوحَ وَ يَنَالُ مِنْ سَلَامَتِهَا، فَالْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ كَانَا رَجْسًا لِأَنَّهُمَا يَسْلُبَانِ الْعَقْلَ وَ يَمَلَّانِ فِرَاقَهُ فِي الصَّدْرِ بَغْضًا وَ عِدَاوَةً، فَهُمَا يَضِيْقَانِ الْخِنَاقَ عَلَى الْبُعْدِ الْمَلَكُوتِيِّ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ يَصَدَّانِهَا عَنِ السَّمْوِ وَ التَّكَامُلِ. فَالْصَّدُورُ الْكَدْرَةُ الْمَمْتَلِئَةُ بِالرِّذَائِلِ مَبْتَلَاهُ بِالرِّجْسِ، وَ مِثْلُ هَذِهِ الصَّدُورِ تَفْتَقِدُ الْأَرْضِيَّةَ لِتَلْقَى الْفَضَائِلَ وَ اسْتِقْبَالَ الْمَحَاسِنِ، وَ تَتَقَاعَسُ عَنِ السَّعْيِ فِي طَرِيقِ الْكَمَالِ وَ الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ النِّجَاحِ، وَ تَجِدُهَا تَقْضِي حَيَاتَهَا أُسِيرَةً فِي حَبَائِلِ الشَّهَوَاتِ مَتَرْدِيَةً فِي مَسْتَنْقَعَاتِ الْحَقْدِ وَ الْحَسَدِ، وَ هَذَا التَّلَوُّثُ بِالرِّجْسِ هُوَ الَّذِي يَقُودُ الْبَشْرِيَّةَ إِلَى الدَّمَارِ وَ يَسُوقُهَا نَحْوَ مَصِيرِ مُؤَسَّفٍ وَ مَسْتَقْبَلِ مَظْلَمٍ! وَ عَلَى أَىِّ حَالٍ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحِيَّةِ وَ الْآفَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تَخْفَتُ أَوَارِ الْحَقِّ وَ بَرِيقِ إِشْعَاعِهِ فِي ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ وَ تَكْدُرُ صَفَاءَ الرُّوحِ وَ تَنَالُ مِنْ عَظْمَةِ النَّفْسِ، وَ تَقْضِي عَلَى الْخَيْرِ الْمَوْدِعِ فِيهَا وَ الَّذِي يَتَجَلَّى فِي صُورِ التَّسْلِيمِ لِلْحَقِّ وَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِيقَةِ بَعْدَ السَّعْيِ لَهَا وَ لِلْقِيَمِ

ص: ١٢٠

المعنويه العاليه هي رجبس. و الآن، بعد أن اتضح معنى الرجبس بالاصطلاح القرآني نرى أن جميع عوامل الشقاء قد اطلق عليها الرجبس، فهو العله الأولى لجميع الأمراض الروحيه التي تحول بين المرء و إدراكه الحقائق، و تدفعه للتمرد و الطغيان و المكابره على الرضوخ للحق، و عدم الإذعان للقيم المعنويه حتى ينتهي الأمر به إلى الكفر و الإلحاد، إن «الرجبس» يعزى الإنسان عن جميع الفضائل و يخلفه روحاً مُشبعه بالآفات و الأسقام، و قد جعل القرآن «ضيق الصدر» عنواناً جامعاً لهذه العلل. على هذا فإن مؤدى آيه التطهير هو أن الله سبحانه شرح صدور «أهل البيت» عليهم السلام، و لم يتلهم بضيق الصدر، و صور قلوبهم سليمه معافاه من الأمراض الروحيه التي جعل بينها و بينهم فاصلاً و بوناً لا يسمح بسرمان الداء و تسربه إليهم. إن «أهل البيت» عليهم السلام الذين انفصلوا عن الآفات و الأمراض التي تحول بين المرء و الإذعان للحق و تدفعه للتمرد عليه، تجدهم بتلك القلوب النقيه و الصدور الرجه في حاله من الانقياد المحض لإراداه البارى تعالى، و الاستعداد التام لتلقى القيم المعنويه و فهم دقائق أسرارها، و قد سلكت بهم تلك الفاصله و هذه الرحابه إلى قمه الإنسانيه الشامخه، و جعلتهم صفوه الله التي تسبح في بحر الفضائل و الكمالات.

و ما هذا الفاصل و تلك الرحابه إلّا من فضل الله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام... ١ .

لذا فإنَّ عدم تلوّثهم بالذنوب معلول لسعه صدورهم و رحابتها و امتلاء أرواحهم بالفضائل و الكمالات و تعلقها، هكذا يتبيّن أنّ آية التطهير شاهد صدق على عظمه أرواح هذه الصفوه، و برهان حقّ على سمو أفكارهم و تحرّهم من قيود الآفات الروحيه و خلاصهم من تبعات الأمراض الأخلاقيه، و ما هذه العظمه إلّا موهبه إلهيه، و هي التي نزهتهم عن الذنوب و طهرتهم عن المعاصي، و هي التي فتحت أبواب الفضائل و الخيرات أمامهم لينهلوا منها الغايه و الحدّ الأقصى، فالإنسان العظيم لا- يجاور الرذائل، و الفكر السليم لا يستمدّ من الخرافات و الأباطيل، و النفوس القويّه و الهمم العاليه لا تتمكّن منها الاضطرابات الروحيه و لا- يمكنها أن تصبوا إلى المعاصي، و آيه التطهير عنوان و علامه على تمتّع «أهل البيت» عليهم السلام بهذه الكمالات الروحيه الدافعه إلى الخير و المانع للشرّ، فلعمري إن كانت هذه المواهب الجمّه و الفيوضات الزاخره التي نزلت على «أهل البيت» عليهم السلام جبراً فأى فيض لا يكون كذلك و متى و فيمن تتحقّق حاله الإراده و الاختيار؟! فعند ما نرى عليّاً عليه السلام يمثّل القمه في التقوى، فلاّنه ينطلق من تلك الركائز، و إذا كان يقول: «و الله لو اعطيتُ الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته» (1)، و إذا كانت الدنيا عنده أزهد من عفته عنز (2) و أهون من ورقه في فم

ص: ١٢٢

١-١) نهج البلاغه: ٤٧٣، الخطبه ٢٢٤، بحار الأنوار ٧٥: ٣٦٠ ح ٧٦.

٢-٢) نهج البلاغه: ٣٠، الخطبه ٣.

جراده تقضمها (١)، و كعراق خنزير فى يد مجذوم (٢)، و كانت قيمه الرئاسه و الإميره عنده دون شسع نعل باليه (٣)! فكلّ ذلك لما أشارت إليه آيه التطهير من المنح و المواهب الإلهيه التى منّ الله بها على أمير المؤمنين عليه السلام، فنوّره بالعلم و المعرفه، و أذهب عنه الرجس و طهره تطهيراً، فتسامى على هذا العالم و تعالى عن هذه الدنيا و حلّق فى سماء المجد و العظمه فى الآفاق التى أرادها الله له و للعترة الطاهره صلوات الله عليهم أجمعين. و هكذا إذا وجدنا ابنه الحسين عليه السلام يقدم رضيعه ذا الأشهر الستّه و فتاه ذا الثمانيه عشر ربيعاً قرايين على طريق محبّه الله و فى سبيل إنقاذ عباده من جور يزيد و تحريرهم من استبداده، و يتلو ذلك بسوق نسائه و عقائل بيته الشريف اسارى لبنى اميه و ابن آكله الأكباد، فذلك لتلك المواهب و النعم التى سبقت له من البارى عزّ و جلّ و جعلته - كنتيجة للابتعاد عن الرجس - عاشقاً لله، مسلماً لأمره و إرادته، هائماً فى حبّه و مؤثره على التعلّق بالدنيا و حبّ فلذات كبده!

تقرير حقيقه

و ما كان هذا اللطف الخاصّ ليأتى عبثاً و خبطاً مزاجياً لا يخضع لقاعده و أساس و معيار، و لا يظننّ أحد أنّ العناية الإلهيه تنصب دون

ص: ١٢٣

١- (١) نهج البلاغه: ٤٧٣، الخطبه ٢٢٤.

٢- (٢) نهج البلاغه: ٧٠٢، الحكمه ٢٣٦. بحار الأنوار ٣٣٧: ٤٠ ح ٢١ و ١٣٠: ٧٣ ح ١٣٥.

٣- (٣) انظر نهج البلاغه: ٧٠، الخطبه ٣٣.

حكّمه و بشكل عشوائى لا يراعى استعداد الإنسان و قابليته لتلقّى هذا العطاء الكبير، و أنّ الأمر شمل «أهل البيت» عليهم السلام لمجرّد كونهم أهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله و قرابته! كلّا إنّ هذا التصوّر و هم باطل. إذ إنّ أرضيه العطاء و الاستعداد لتلقّى العنايه و اللطف الخاصّ أمر بيد الإنسان و رهن رغبته و إرادته، فهو الذى يصنع نفسه و يهيئ حاله لتكون على ذلك المستوى، و هذا بحث يطول نتركه لمقام آخر و نكتفى بالإشاره إلى آيه قرآنيه أو مأت إلى السرّ فى العطاء الإلهى الخاصّ و العنايه المتميزه، تفتح آفاق التحقيق و البحث أمام القارئ الكريم: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيَٰكَ رَفِيقًا * ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ١، فالآيتان تقرّان أنّ سرّ الإنعام الإلهى و مفتاح تلقى الفضل الخاصّ هو طاعه الإنسان و عمله فى سبيل حياه خالده، و ذلك بامثاله أو امر الله و رسوله صلى الله عليه و آله. إذن مردّ السعاده و التكرّم بالفيض الإلهى يعود للإنسان نفسه و مدى سعيه لتحقيق أرضيه أكثر استعداداً لتلقّى المزيد من الفيض و العطاء الإلهى غير المجدوذ و لا المحظور.

تُرى هل هو البيت العتيق (الكعبه) وجميع المسلمين (أهل القبلة) هم أهله، أم هو بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله هم عشيرته وعائلته، أم هم كل من يمت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بصله قرابه أو نسب ممن لا يُستقبح اجتماعهم تحت غطاء واحد، ويصحّ تواجدهم وعيشهم في نفس البيت، فيشمل هذا العنوان نساء النبي صلى الله عليه وآله وأبناءه بالإضافة إلى أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام؟ أم أنّ «أهل البيت» ينصرف إلى المعنى العرفي المتداول الذي يطلق على عيال المرء وأزواجه، فلا يعدو بذلك نساء النبي صلى الله عليه وآله، أم أنّ هناك معنى آخر صرفت إليه هذه العبارة؟ هذه أقوال ممّا طرحه وذهب إليه كبار المفسّرين، ولكننا نرى أنّها لا تنطبق مع المعنى الواقعي لكلمه «أهل البيت» في الآيه الكريمة. إنّ كلمه «أهل البيت» هي عنوان مشير و تحكى عن حادثه وقعت. و بعباره اخرى: إنّ كلمه «البيت» تشير إلى بيت من بيوت نساء النبي صلى الله عليه وآله، والألف واللام عهديه، وأهل البيت هم الذين كانوا مجتمعين في الزمان والمكان المعيّنين (حين نزول الآيه وفي بيت ام سلمه وفقاً لتعيين الروايات)، فنزلت الآيه في شأن ذلك الجمع تقريراً لفضلهم

و منزلتهم وفقاً لمفادها- كما سبق إثباته-، فصار ذلك الجمع يُعرف بـ «أهل البيت»، و على هذا الفرض فإنَّ «أهل البيت» إشارة إلى الخمسة المجتمعين في بيت أم سلمة. و في بدايه الأمر حين نزول الآيه لم تكن هذه العبارة تحمل إلّا معنى الإشاره، و لكن بمرور الزمن صار لها معنى علمي حتّى غدت عنواناً خاصّاً للخمسة المجتمعين في ذلك البيت، و يمكن القول: إنّ هذا الفرض هو الأرجح و الأكثر تطابقاً مع الواقع من بين جميع الاحتمالات التي افترضها المفسّرون، و ها نحن نعرض مزيداً من التوضيح.

المدعى

تحديداً لنطاق البحث نقول: إنّ المدعى هو: أنّ «أهل البيت» هم الخمسة أصحاب الكساء الذين كانوا مجتمعين في بيت أم سلمة.

و الحدث و إطلاق المصطلح هو نظير «يوم الدار» الذي يشير إلى اليوم الذي جمع فيه رسول الله صلى الله عليه و آله عشيرته في دار أبي طالب عليه السلام (1) ليعلن نبوّته و دعوته، و أصبحت كلمه «يوم الدار» عنواناً خاصّاً لتلك الواقعة و ذلك اليوم، و كلمه الدار تشير إلى دار أبي طالب عليه السلام. هكذا أصبحت عبارة «أهل البيت» تحمل و تتضمن معنى علمياً للخمسة الذين دخلوا تحت الكساء في دار أم سلمة.

ص: ١٢٤

١-١) عند ما نزلت «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (الشعراء: ٢١٤).

١- إن الآيات التي ذكر فيها لفظ «البيت» التي سبقت آية التطهير أو لحقتها جاءت على صيغ الجمع المحلى بنون النسوة «بيوتكن»، وهذا مما يعنى أن «البيت» إشاره إلى بيت معين من تلك البيوت (بيوت الزوجات) أو حجره من تلك الحجرات، وحيث إن المراد من «بيوتكن» هو بيوت زوجات النبي صلى الله عليه وآله فلا بد من أن يكون «البيت» من ذلك النسيج أيضاً، وبدخول «ال» التعريف على أحد تلك البيوت تعين أن المراد هو بيت أم سلمه، و مما تظافت و اتفقت عليه و شهدت به الروايات من الفريقين أن الآيه نزلت في ذلك المكان التاريخي.

و بملاحظه ما سلف بيانه و إثباته في قضيه ترتيب الآيات و انتظام النصوص القرآنيه، و أن ذلك من الوحي و مما أمر به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و أمضاه، فإن هذا الدليل سيحتل موقعه و ستتجلى حجته. ٢- إن مبادره و اندفاع أم سلمه رضوان الله عليها و حرصها الشديد على الاستفهام من النبي صلى الله عليه وآله و سؤاله عن مدلول الآيه فور نزولها و هل هي مشموله بها أم لا؟ و الجواب السلبي التي تلقتة عن سؤالها يدل على أنها كانت تعيش وهماً، و أن شبهه اعترتها و جعلتها تستفهم، و ما لذلك الوهم و تلك الشبهه من مدخل و علّه إلما كونها انتزعت من عباره «أهل البيت» التي جاءت في الآيه مفهوم «الساكنين في بيتها»، فحيث كان المراد من «أهل البيت» المجتمعين في بيتها فقد ظنت أن الخطاب شملها أيضاً. و إن قيل: إن منشأ سؤال أم سلمه هو انتزاعها معنى زوجات النبي صلى الله عليه وآله من عباره «أهل البيت» و إن استفهامها كان من هذا المنطلق، فإنه مدفوع بكون احتمال شمول الآيه لعموم الزوجات كان

منتفياً لدى أم سلمه إذ استفهمت عن حالها فقط، ولم تفرض بأي وجه أن تكون بقيه الزوجات مشمولات أيضاً. ٣- إن آيه التطهير-وفقاً للروايات المعبره و المشهوره، و مما تسالم عليه الجميع-تشمّل شخص النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أيضاً، و حيث إن معنى عبارته «أهل البيت» وفقاً لجميع الوجوه الأخرى غير قابل للانطباق على رسول الله صلى الله عليه و آله، فلا مناص من الإذعان بالمعنى القائل:

إنها تقصد المجتمعين في ذلك البيت المعين «بيت أم سلمه». ٤- لقد ذكرت عبارته «أهل البيت» في موضع آخر من القرآن الكريم، و قد استعملت في ذلك الموضع أيضاً بمعنى المجتمعين في أحد بيوت النبي إبراهيم عليه السلام، إذ كان إبراهيم عليه السلام مختلياً بزوجه ساره في الحجره، فهبطت الملائكه المرسله إلى لوط النبي في مهمه ما و جعلت طريقها على دار إبراهيم، هبطت على إبراهيم الذي كان واقفاً في داره بينما كانت زوجته ساره جالسه لتبشّرهما بحمل ساره و بمولود عزيز هو إسحاق و بحفيد ساره و عجبها قالوا أ تعجيبين من أمر الله رحمت الله و بركاته عليكم أهل البيت ١. (١)

ص: ١٢٨

١- ٢) إشاره إلى الآيات الكريمه «فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ... إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ» (هود: ٧٠-٧٢) التي ذكرت الفصه، و تفصيلها في التفاسير، و تعميماً للفائده نلخص ما جاء في إحداها، ذكر صاحب الميزان أعلى الله مقامه أن الرسل هم الملائكه، و ظاهر السياق أن البشرى التي جاءت بها الرسل إبراهيم أنها البشاره بإسحاق، فتسالوا هم و إبراهيم، ثم قدم إليهم عجلاً مشويماً فلم يأكلوا منه، و ذلك أماره الشر، فقالوا: «لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ» فعلم أنهم من الملائكه الكرام المنزهين عن الأكل و الشرب، و بينما كان يكلمهم و يكلمونه في أمر الطعام و امرأته قائمه هناك تنظر إلى ما يجري بين إبراهيم و ضيفيه و ما كان يخطر ببالها شيء دون ذلك، ففاجأها الحيض فبشّرتها الملائكه أنها ستلد إسحاق، و إسحاق سيولد له يعقوب ولد بعد ولد، فعجبت و استنكرت ذلك فقالوا لها: «أ تعجيبين من أمر الله»... (الميزان في تفسير القرآن ٣٣٢: ١٠-٣٣٧).

فهل يصحّ أن نصرف المقصود من «أهل البيت» في هذه الآية إلى أهل القبلة أو زوجات إبراهيم عليه السلام أو أقربائه؟ من المقطوع به أنّ الجواب منفى. إنّ فصول القصة و توالى أحداثها لمّا يقتضى هذا التعبير و يفرض استعمال مثل هذا الإطلاق، فدخل الرسولين على شكل ضيفين و امتناعهما عن الأكل، و الخوف الذى انبعث فى قلوب أهل البيت و أصحاب الدار من هذا الموقف ثمّ انكشاف العله فى ذلك و كونهما من الملائكة جعل من هذا التعبير أفضل اسلوب و لطف و أبلغ عباره لنقل بشاره البارئ تعالى لإبراهيم و ساره من خلال نسبه للدار و البيت الذى يأويان إليه لاستراحتهما. ٥- هناك شواهد من الأحاديث الشريفه تثبت المدعى: (أ) فى روايه أحمد بن حنبل أنّ أم سلمه قالت: كان النبى صلى الله عليه و آله فى بيتى و كنت أصلى فى مخدعى إذ نزلت آيه التطهير، فأدخلتُ رأسى فى البيت فقلتُ: و أنا معكم يا رسول الله؟ (١) و يتضح من هذا المقطع من الروايه أنّ البيت كان فيه مخدع، و أنّ أم سلمه كانت منشغله فيه بالعباده

ص: ١٢٩

١-١) المسند لأحمد بن حنبل ١٧٧: ١٠ ح ٢٦٥٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٢: ٣.

حين نزول الآيه، فأطّلت برأسها من المخدع و سألت انضمامها و شمولها بالعنايه الإلهيه. و هذا يعنى أنّ أم سلمه انتزعت من عبارته «أهل البيت» فى الآيه أنّ المجتمعين تحت ذلك السقف حظوا بالمكرمه، فأرادت غيضاً من فيض، فأطّلت برأسها و سألت النبى صلى الله عليه و آله: و أنا معكم؟ فيان لم تكن آيه التطهير تشمل كل من كان فى ذلك البيت، و تحت ذلك السقف ما كانت أم سلمه لتطمع و تطمح فى أن تشملها الآيه هى أيضاً. إذن كلمه «البيت» فى الروايه تُعدّ قرينه على أنّ المراد من «أهل البيت» فى الآيه هو عنوان أهل البيت المجتمعين فى دار أم سلمه و المتواجدين تحت ذلك السقف (1). ب) جاء فى روايه ابن جرير أنّ أم سلمه قالت: «و أنا جالسه على باب البيت فقلت أنا: يا رسول الله أ لست من أهل البيت؟» (2) ترى لِمَ كان سؤال أم سلمه هذا؟ هل كانت فى شك من كونها إحدى زوجات النبى صلى الله عليه و آله؟! كلاً بطبيعته الحال، و لكن وجه الاستفهام فى سؤال أم سلمه يفهم من كلامها -رضى الله عنها- حيث قالت: و أنا جالسه على باب البيت فقلت: يا رسول الله أ لست من أهل البيت؟» تعنى الساكنين و المجتمعين فى تلك الدار و تحت سقف واحد. و على هذا الأساس فهتمت أم سلمه -رضى الله عنها- من كلمه «أهل البيت» هذه المجموعه المتواجده تحت غطاء واحد. و بما أنّها كانت قريبه

ص: ١٣٠

١-١) راجع المراد من مصطلح «العنوان المشير» الذى جاء توضيحه فى الصفحه ١٥ هامش ١، و سيأتى لاحقاً تفصيله.

٢-٢) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ٧: ٢٢، تفسير ابن كثير ٣: ٤٩٣.

منهم و مجاوره لهم؛ لذلك استفسرت بأن الآيه التي نزلت فى هذه المجموعه تشملها أم لا.

احتمال وجيه فى خروج ام سلمه عن مورد الآيه

يستفاد من الروايتين المذكورتين أنّ خروج امّ سلمه -رضى الله عنها- عن مورد الآيه لم يكن خروجاً تعبدياً، بل التقدير الإلهى و المشيئه الربّانيه اقتضت أن تكون هذه المرأه خارج الدار فى وقت نزول الآيه المباركه «آيه التطهير»، و بالفعل كانت المرأه فى ذلك الوقت خارج الدار أو مجاوره لها، الأمر الذى دعاها أن تبذل جميع الجهود و تتوسّل بكلّ شىء لعلّها تحظى بهذا الشرف العظيم و تدخل ضمن عداد المجتمعين تحت الكساء! و لكن لا رادّ لقضاء الله، حيث لم تكن امّ سلمه رغم عظمتها مؤهله لحمل هذا الوسام الفاخر؛ و لذا كان الأجدر بها أن تنسحب من هذا الميدان و تتوجّه إلى الدعاء و التوسّل، و الشاهد الحى لهذا الاحتمال حديث جابر بن عبد الله الأنصارى، هذا الرجل العظيم الذى كان يحمل بعض أسرار القرآن و العتره، الذى يقول: «نزلت هذه الآيه على النبىّ صلى الله عليه و آله و ليس فى البيت إلّا فاطمه و الحسن و الحسين و علىّ عليهم السلام:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي» (١). على هذا، فإنّ زوجة النبىّ الفاضله ليست من «أهل البيت» عليهم السلام

ص: ١٣١

«و العاقل تكفيه الإشارة»، إذ لم تكن فى الدار التى نزلت فيها الآيه، كما ظهرت فى هذه الروايه أيضاً لفظه «البيت» كقرينه على أنّ المراد من أهل البيت هو بيت امّ سلمه.

تسميه جديده

لقد كان مفاد عبارته «أهل البيت» عند نزول الآيه هو: «النازلون دار امّ سلمه، المجتمعون فى بيتها»، و لكن بمرور الزمان و تقادم الأيام أخذت هذه العبارة لنفسها عنواناً تاريخياً. فالحادثة فى يومها الأول وقعت -باتفاق جميع العلماء المحققين من السنّه و الشيعة- عند ما اجتمع أربعة أشخاص بدعوه من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى دار زوجته الفاضله، و لم تكن لائحته المدعويين تتجاوز الأسماء المباركه، ل «علّى و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام»، و لم يكن من سبيل لتحديدتهم و تعريفهم إلّا إطلاق هذه الأسماء النورانيه عليهم، و لكن مع نزول الآيه الشريفه بأمر البارئ عزّ و جلّ و إرادته فقد خلع على هذه الثله المباركه أعظم فضيله و منقبه، و صارت الألسن تتناقل تسميتهم الجديده «أهل البيت» عليهم السلام شيئاً فشيئاً حتّى تعين كعنوان أساسى لهم. إنّ عبارته «أهل البيت» التى انبثقت كمعنى تاريخى من حادثه معينه، تحوّلت بمرور الزمان إلى عنوان و لافته مفعمه بالفخر و الفضيله، و أصبحت متعينه فى النبى و صهره و أبناءه، و من مختصّيات ألقابهم صلوات الله عليهم أجمعين. و ما هذا و ذاك إلّا لأهميه الموقف و العظمه التى سجّلتها آيه التطهير!

إنَّ العبارة بحدِّ ذاتها و بصرف النظر عن مدلولها المقترن بالمناسبه، لا تحمل آيَه فضيله و لا تعنى أى تفوق و كمال ممّا تحمله كلمات من قبيل «عالم، عادل، شجاع»، و لكن مفاد آيه التطهير المتدفّقه نوراً و فضيله هو الذى خلع الفخر و العظمه على مصطلح «أهل البيت» و بلغ به قمه تحكى معنى أكثر رقياً و سموّاً حتّى من تلك القمه! و هذا هو السرّ فى تحوّل الكلمه إلى علمٍ لهذه الثله المباركه. إذن، مع مرور الزمن، بدأت تحفّ بهذه العبارة حيثه أخرى، و صارت لها موضوعيه مستمدّه من موضوع إثبات الفضيله التى نطقت بها آيه التطهير، و صار «أهل البيت» اللقب الخاص لصفوه الله و خاصّته. و لم تجر كلمه أهل البيت على لسان النبى صلى الله عليه و آله كعنوان لأسرته قبل نزول آيه التطهير فى نطاق ما تحرّيناه، و لكن بعد نزولها فقد تكرر إطلاقه صلى الله عليه و آله هذا اللقب «أهل البيت» عند إرادته ذكر على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، و كأنه صلى الله عليه و آله كان من البهجه و السرور بنزول آيه التطهير بحيث كان يتحين الفرص ليستعيد ذكراها و يجدد العهد بها، فيكرّر ذكر عباره «أهل البيت»! أو كأنه يريد إخراج هذا المسمى و ما يعنيه من فضيله و فخر لأعزائه الأربعة من خلال تكرار النداء و التصريح بهذا اللقب السامى و الوسام الربانى، اللقب الذى يعادل الدنيا و ما فيها، و من خلال ترديد الآيه التى تضع عترته صلى الله عليه و آله فى قمه الهرم الإنسانى، حيث نشاهده صلى الله عليه و آله و سلم و من حين نزول الآيه و لمده ستّه أشهر أو أكثر، و حينما كان يخرج لأداء صلاه الصبح يجعل طريقه على دار

فاطمه عليها السلام و ينادى بذلك النداء العظيم: «الصلاه يا أهل البيت» ١. نعم، إنَّ الادِّعاء بأنَّ تقادم الزمن و حركه التاريخ لم يضيفا على أحد-و من خلال آيه التطهير-أى فضيله و لم يلبسا حُلّه الفخر و العزّ لأحدٍ مهما كان، و لم يظهر له أى امتياز. نعم إنَّ مثل هذا الادِّعاء الواهى و التفكير المتشّتت و المبعثر بعيد عن روح الفضيله و طلب الحقيقه، إضافه إلى أنه بعيد عن منهج العلماء و منطوق المحقّقين، بل الواقع أنّ مرور الزمن و تعاقب الأيّام أزالا-الستار عن الفضيله التى اريد لها أن تُحجب، و أبرزها على أحسن صورها و أجمل حالاتها. كما أظهر كلمه «أهل البيت» كعنوان ذهبى يزّين صفحه التاريخ البشرى. لقد كان الرسول صلى الله عليه و آله و من خلال ترديده للآيه المباركه يهدف إلى تحقيق عدّه أغراض: الأوّل: لكى لا يطمس هذا العنوان الذهبى و الوسام الإلهى. الثانى: صيانته لهذا العنوان من سطو الطامعين و لصوص السياسه الذين يحاولون أن يتبرقعوا و يتزيّنوا بهذا الوسام العظيم و الشرف الرفيع و الذى لم يكونوا أهلاً له.

الثالث: و ليعلم الجاهلون بالحقائق القرآنيه مَنْ هم أصحاب هذا العنوان الرفيع. الرابع: و ليعلم العالم بأسره مَنْ هم أولئك القوم الذين نزلت في حقهم آيه التطهير و رفعتهم فوق ذرى المجد و الفضيله، و نزهتهم و إلى الأبد عن كل دنس و جهل و شك؟ و ليعلم الجميع مَنْ هم قادة الإسلام الحقيقيون، و أى منزله من منازل الفضيله يرتقون؟ و ليعلم أمثال عكرمه أن النظريات التى تفرزها نار العصبيه و الحقد و الحسد لا تستطيع أن تحرف مسير الإنسانيه الواعيه و القلوب المؤمنه عن جاده الحقّ و الحقيقه. و ليعلم بعض المفسرين الذين ابتلوا بداء العصبيه، أن القرآن الكريم لا- يخضع و بأى شكل من الأشكال لمثل تلك الأفكار و النظريات المنحرفه، و أن هذا الكتاب المقدس حصر طريق الوصول إلى الفضيله به لا بسواه، و أن تعاليمه الإلهيه و قوانينه العاليه لا تنسجم مع الأفكار المنبعثه عن الهوى، و الناجمه عن القناعات الشخصيه و الآراء الفرديه. و أخيراً لكى يتسلح طالبو الحقيقه بالبرهان الساطع و الدليل التبر المستند إلى كلام سيد المرسلين صلى الله عليه و آله.

ثمره التحقيق:

إنّ هذا الأسلوب المبتكر فى تحقيق كلمه «أهل البيت» جديرٌ أن يصون البحث و يخرجّه من حاله القال و القيل، و إنّ أخذ هذا الأسلوب بنظر الاعتبار و اعتماد نتائجه يؤدّى إلى أن يصبح البحث و الجدل فى مفهوم «أهل البيت» لغواً لا- فائده فيه، و أن لا موضوع حينئذٍ للبحث عن سعه و ضيق هذا المفهوم، من قبيل: ما ذا تعنى كلمه الأهل؟ و مَنْ هم

أهل البيت؟ وهل الآيه تشمل نساء النبي أم لا؟ وكذلك التعصّب الفكري لحصر هذا المفهوم بنساء النبي صلى الله عليه و آله. كلّ ذلك لا يتعدى-بعد هذا التحقيق-عن كونه ادّعاءً فارغاً و أمراً عارياً عن الحقّ و الحقيقه.

و إذا كان هناك بحث في كلمه «أهل البيت» فيمكن أن يدعى أنّ مصطلح «أهل البيت» قرينه لـ «أهل بيت النبوه» ممّا يجعل دخول النساء في نطاقه أمراً له وجه ما؛ لأنّ التداول العرفي للعبارة يشمل النساء أيضاً، و لكن التحقيق الدقيق حدّد كون «أهل البيت» في آيه التطهير عنواناً مشيراً يقصد الخمسه المتميزه المجتمعه في أحد بيوت النبي صلى الله عليه و آله في دار امّ سلمه، تماماً كما هي عبارة «أصحاب الكساء» في كونها عنواناً مشيراً إلى العظماء الخمسه عليهم السلام. إذن فكما أنّ أحداً من العلماء و المحقّقين، و أيّاً من أهل الحلّ و العقد لم يبحث في مفهوم كلمه «الكساء»، و تسالموا على أنّ «أصحاب الكساء» عنوان يشير إلى المجتمعين تحت ذلك الغطاء، كذلك لا-ينبغي البحث في مفهوم كلمه «أهل البيت»، إذ لا أهميه للكلمه بنفسها، و لم تكن معنيّه في ذاتها، إذ لم يكن مفهوم «أهل البيت» هو موضوع آيه التطهير، و لم يكن هذا المفهوم هو الذي نزلت الآيه بعصمته و طهارته، حتّى نبحت-بعد ذلك-في شمولها لزوجات النبي من عدمه؟ فهذه العبارة لم تكن إلّا إشاره إلى الأشخاص الخمسه، و حتّى امّ سلمه التي كانت شاهداً نزيهاً على الحدث بقيت مستثناه و خارجه عن كساء القدس الذي شمل تلك النخبه و الصفوه. و لعلّ الأمر يقتضى مزيداً من التوضيح.

إن الأحكام و التبعات التي تُحمل على موضوع ما، تُحْمَل تارةً بصورة قضیة حقیقیة و اخرى على نحو القضیة الخارجیة، كما یصطلح فی لغه أهل الفنّ و الاختصاص. ففی القضايا الخارجیة قد یحدّد موضوع القضیة الأشخاص المعینین فی الخارج صراحة، و قد یشیر إلیهم إشاره خاصّة تحت عنوان ما یرمز إلیهم و یدلّ علیهم و لا یمکن أن یضمّ غیرهم. على سبیل المثال قد یأخذ شكل القضیة الصورة التالیة: «یجب احترام العالم» هذه قضیة حقیقیة، هنا یجب البحث فی مفهوم العالم، و على قدر ما یسع هذا المفهوم من مصادیق فیجب احترامهم، أى کلّ من یمکن عالمًا فیجب احترامه. و قد یأخذ شكل القضیة صورة اخرى و تكون على هذا النحو:

«احترم زیداً و عمراً» هذه قضیة خارجیة، و من یجب احترامه فی هذه القضیة هما زید و عمرو، اللذان هما اسما علّم لشخصین معینین، و قد یقال فی نفس هذه القضیة الخارجیة: «احترم الشخصین ذوی الجبّة الخضراء»، و القضیة هنا جعلت «الجبّة الخضراء» عنواناً یشیر إلی زید و عمرو، و من ینبغی احترامه فی هذه القضیة هما زید و عمرو فقط، و لا یصحّ بحال أن تكون «الجبّة الخضراء» محور البحث فی هذه القضیة! بحيث یبحث فی مفهوم «الجبّة» و «الخضراء» و فی إضافة الجبّة إلی الخضراء، ثمّ یتّم- فی ضوء ذلك- استنتاج أنّ الناس یجب احترامهم؟! إذن البحث فی القضايا الحقیقیة یتناول المفهوم و یتعرّض لطبیعه موضوع الحكم، و لكن فی القضايا الخارجیة- سواء فی حالة التصریح

بتعيين الموضوع أو حاله الإشارة له-لا- ينبغى البحث فى مفهوم ما وقع موضوعاً للقضيه،فبيحث-وفوق المثال-عمّن يجب احترامه، إذ من المسلّم أنّ الاحترام يجب أن لا يكون إلّا لزيد و عمرو،و لا يتجاوز الحكم عن موضوعه بأى نحو من الأنحاء.إنّ آيه التطهير التى جعلت «أهل البيت»عليهم السلام مورد اهتمامها و طهرتهم من الرجس و الذنب طهاره أزليه-من قبيل المثال الثالث لقد انصب اهتمام الآيه على عنوان «أهل البيت»عليهم السلام و لكن باعتباره عنواناً مشيراً إلى المجتمعين فى دار ام سلمه-رضى الله عنها-و كناية عن النبى صلى الله عليه و آله و على و فاطمه و الحسين عليهم السلام. كما أنّ الجبّه الخضراء فى المثال عنوان مشير لزيد و عمرو.و إذا كان الاحترام فى المثال الثالث منحصراً بزيد و عمرو،و غيرهم خارج عن هذا الحكم، كذلك فى آيه التطهير، فإنّ العناية الإلهيه لا تشمل غير هؤلاء الخمسه،و غيرهم خارج عن حكم الآيه.و على هذا فلا شكّ و لا ترديد و لا يبحث فى أنّ أهل البيت من هم؟و ما هى سعه و ضيق هذا المفهوم؟و أنّ التطهير يشمل أى الأفراد؟نعم، كما أشرنا سابقاً أنّ الكلمه فى حين نزول الآيه كانت عنواناً مشيراً،و لكن بمرور الأيام اصطبغت بصبغه التعيين و أصبحت لقباً و اسماً مشخّصاً لهؤلاء الخمسه عليهم السلام،بحيث كلّما ذكرت هذه الكلمه يتبادر إلى الذهن أصفياء الله تعالى و هم الرسول الأكرم و على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام. كما أنّ مصطلح«خاصيف النعل»و الذى استعمله الرسول صلى الله عليه و آله فى بادئ الأمر كعنوان مشير إلى أمير المؤمنين عليه السلام،و بعد ذلك تحوّل إلى لقب خاصّ لأمير المؤمنين عليه السلام.

بعد هذا التحليل و التحقيق المبتكر من نوعه نستطيع القول:إننا سحبا البساط من تحت أقدام المتعصّبين و الجهّال و اللابالين بحيث أصبحت أيديهم جدّاء و حجّتهم باطله و دعواهم عاربه عن الدليل.و بعد ذلك لا حجه إلى الادّعاء العارى عن الدليل و القول بأن أهل البيت اصطلاح قرآنى خاصّ بالخمسه من «أهل البيت»عليهم السلام (١).لأننا أثبتنا سابقاً أنه لم يستعمل فى هذه الكلمه أى اصطلاح.و ما ورد فيها لا يخرج عن كونه عنواناً مشيراً إلى هذه الثله المختاره المجتمعه فى بيت أم سلمه.و الشاهد على أنّ كلمه «أهل البيت»لم تستعمل فى القرآن كاصطلاح خاصّ بالخمسه من «أهل البيت»عليهم السلام هو ورود هذه الكلمه فى قصّه إبراهيم عليه السلام و زوجته (٢)،و لو كانت هذه الكلمه خاصّه بأهل البيت و أنّها استعملت بحقّهم كمصطلح،فلا معنى لاستعمالها فى القرآن الكريم فى حقّ أفراد آخرين غيرهم.

تساؤل:

إذا كانت كلمه «أهل البيت»خاصّه بهؤلاء الخمسه فقط فحينئذٍ يطرح السؤال التالى:ألم يكن سائر الأئمّه الأطهار عليهم السلام من أهل البيت، و أنّ آيه التطهير تشملهم بالعنايه و الفضيله؟إنّ الإجابة عن هذا التساؤل تظهر بين مطاوى كلمات أئمّه أهل البيت عليهم السلام:فما نُقلَ عن النّبىّ صلى الله عليه و آله عن طريق أبى سعيد الخدرى حيث قال صلى الله عليه و آله:

ص:١٣٩

١-١) كما ذهب إلى ذلك السيّد الطباطبائى فى تفسير الميزان ١٦:٣١٢.

٢-٢) فى ص١٢٨.

«نزلت هذه الآية في و في عليّ و حسن و حسين و فاطمه» (١). أو ما ورد عنه صلى الله عليه و آله بعد نزول الآية: «اللهم هؤلاء أهل بيتي و حامتي، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» (٢). و هذان النوعان من التعبير-المنقولان عن النبي صلى الله عليه و آله-يوضحان أن عنوان «أهل البيت» في الآية الشريفه يشير إلى الخمسه أصحاب الكساء على نحو الحصر، و قد ذهب الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا الرأي (اختصاص الآية بهؤلاء الخمسه) معقّباً أنّ ربط بقيّة الأئمّه الأطهار عليهم السلام بآيه التطهير و شمولهم بمدلولها و ما تخلعه على مخاطبيها من العصمه و الطهر يتمّ من خلال دخولهم عليهم السلام في قوله تعالى: وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ٣. إنّ نطاق آيه التطهير-بناءً على قول الصادق عليه السلام-لا يتجاوز الخمسه الذين نزلت في شأنهم، و إذا كانت عبارته «أهل البيت» مطلقه-باصطلاح أهل الفن-بحيث تشمل جميع الأئمّه عليهم السلام-فما كان الإمام الصادق عليه السلام ليستدلّ بآيه أولو الأرحام.. و يلجأ إلى الربط بين الآيتين ليخلص إلى نتیجه عصمه جميع الأئمّه و طهارتهم، و القول:

«نحن تأويل آيه التطهير» (٣) إذن ف«أهل البيت» هم أولئك النفر

ص: ١٤٠

-
- ١- ١) جامع البيان في تفسير القرآن ٥: ٢٢، مجمع البيان ١٣٨: ٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٧، الدر المنثور ١٩٨: ٥.
- ٢- ٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٦: ٢٢، مجمع البيان ١٣٨: ٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٦ كما وردت بهذا المضمون روايات أخرى، راجع نفس المصدر.
- ٣- ٤) إذ يقول (في روايه عبد الرحمن بن كثير): «نزلت هذه الآية في النبيّ و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و فاطمه عليهم السلام، فلمّا قبض الله عزّ و جلّ نبيه صلى الله عليه و آله كان أمير المؤمنين ثمّ الحسن ثمّ الحسين عليهم السلام، ثمّ وقع تأويل هذه الآية «وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» و كان على بن الحسين عليهما السلام، ثمّ جرت في الأئمّه من ولده الأوصياء عليهم السلام، فطاعتهم طاعه الله و معصيتهم معصيه الله عزّ و جلّ» (علل الشرائع: ٢٠٥ ب ١٥٦ ح ٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٣).

المجتمع تحت الكساء لا- غير، وإنما يدخل بقيه الأئمة عليهم السلام في مؤدى الآية عن طريق تأويلها. وعبارة أوضح: إن آية التطهير تشمل جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام، ولكن ليس بواسطة لفظه «أهل البيت» الواردة في الآية، بل للشرح الذى قدمته الآية الثانية لآية التطهير، هكذا قضى الله أن يكون للتأويل شأن و اعتبار التنزيل، و يكون لمن أولت الآية بهم شأن و منزله من نزلت فيهم.

وجه احتجاج بقيه الأئمة عليهم السلام بالآية

إذا صحَّ أن آية التطهير لم تنزل في جميع الأئمة عليهم السلام، فلما ذا كانوا يستدلون بها في مواقع المخاصمه و الاحتجاج على إمامتهم و عصمتهم و أولويه تقديمهم على غيرهم؟

الجواب:

المواقع المشار إليها جاءت في صنفين من الروايات: الأول: ما استدلل به أمير المؤمنين أو الإمام الحسن أو الحسين عليهم السلام إثباتاً لأحقّيتهم و تقدّمهم على غيرهم وفق مدلول آية التطهير، و هذه

الطائفه من الروايات لا- تتعارض مع ما قرناه آنفاً، إذ إنهم عليهم السلام ممن شملتهم الآية تنزيلاً لا تأويلاً. الثاني: ما قاله بقيه الأئمه عليهم السلام فى مقام الاستدلال و الاحتجاج بالآيه الشريفه، و فى هذه الطائفه نلحظ هاتين الروايتين: ١- عن على بن الحسين عليهما السلام، حديث طويل يقول فيه لبعض الشاميين: فهل تجد لنا فى سوره الأحزاب حقاً خاصاً دون المسلمين؟ فقال: لا، قال على بن الحسين عليه السلام: أما قرأت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً ١

٢- روايه الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال فى تفسير الآية: «يعنى الأئمه عليهم السلام و ولايتهم، من دخل فيها دخل فى بيت النبى صلى الله عليه و آله» (١). إن آيه التطهير قد أولت الأئمه عليهم السلام عنايه خاصه و جعلتهم و لاه للناس كافه، و كل من دخل تحت لوائهم يكون من خواص بيت النبوه. و المتلخص من كلام الإمام الصادق عليه السلام هو أن التبعية و الاقتداء بهدى «أهل البيت» عليهم السلام يورثا الوحده و الاتحاد و الانصهار كما جاء فى القرآن الكريم فى قوله سبحانه: مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي... ٣ و ما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى حق سلمان رضى الله عنه: «سلمان منّا أهل البيت» (٢).

ص: ١٤٢

١- ٢) الكافي ١: ٤٢٣ ح ٥٤، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٣.

٢ - ٤) اختيار معرفه الرجال، المعروف برجال الكشى: ١٥ الرقم ٣٣، المستدرک على الصحيحين ٣: ٦٩١ ح ٦٥٣٩ و ٦٥٤١، الاحتجاج ١: ٣٨٧، بحار الأنوار ١٠: ١٢٣ ح ٢.

علماً أنّ سلمان لم يكن من أهل البيت حقيقه. فعلى هذا يكون الاقتداء و قبول ولايه «أهل البيت» عليهم السلام بمثابة المصنع الذى يصهر الجميع فى بوتقه واحده. و لكنّ الروایتين المذكورتين ليسا فى مقام بيان أنّ عنوان «أهل البيت» شامل لجميع الأئمه عليهم السلام، وإنما هما فى مقام بيان أنّ (آيه التطهير) تثبت الولايه و التقدّم لباقي الأئمه عليهم السلام أيضاً. و يمكن إثبات ذلك و البرهنه عليه - كما جاء فى روايه ابن كثير عن الإمام الصادق عليه السلام - من خلال الاستناد إلى آيه أولوا الأرحام، بل يمكن الجمع من خلال هذا الطريق أيضاً بين هذه الروايات الموسّعه و بين ما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله من الروايات الحاصره لعنوان «أهل البيت» فى الأفراد الخمسه عليهم السلام فقط. و يكون هذا الجمع عقلائياً و قابلاً للتصديق. و إذا أردنا أن نعتمد الأسلوب الصناعى (الفنى) نقول: إنّ الروايه التى رواها ابن كثير عن الإمام الصادق عليه السلام تعتبر شاهد جمع بين طائفتين من الروايات التى يظهر لأوّل وهله أنّها متعارضه، الطائفة الأولى الروايات الدالّه على الانحصار بالخمسه، و الروايات الموسّعه، و يمكن القول - كما هو مفاد حديث ابن كثير - بأنّه من خلال نسبه التأويل إلى التنزيل و من خلال هذه النسبه و الإضافه يدخل سائر الأئمه تحت عنوان «أهل البيت» الوارد فى الآيه. و على هذا الأساس: فإنّه و من خلال النظر إلى ما ورد عن الرسول صلى الله عليه و آله من حصر عنوان «أهل البيت» بالخمسه عليهم السلام، و من ملاحظه ما ورد عن الأئمه عليهم السلام من أنّ الآيه نزلت بحقّ المجتمعين فى بيت امّ سلمه - رضى الله عنها -، هذا من جهه، و من جهه اخرى الروايات التى

وردت عنهم عليهم السلام و التي اعتمدوا فيها على «آيه التطهير» لإثبات الولايه لهم عليهم السلام و تأويلهم لآيه أولوا الأرحام من جهه اخرى، من خلال ذلك كله لا بد من الإذعان بأنّ عنوان «أهل البيت» مثل عنوان «آل العباء» و «أصحاب الكساء» عنوان منحصر، و لكنّ الآيه لم تهمل سائر الأئمه عليهم السلام، و إنّما شملتهم بالعنايه و القداسه و الطهاره. و لو قلنا: إنّ كلمه «أهل البيت» هذا العنوان الذى ظلّ طول التاريخ مشيراً إلى المجتمعين فى دار امّ سلمه -رضى الله عنها- أنه يشمل سائر الأئمه عليهم السلام اعتماداً على ما روى عنهم، و تأويل الآيه لم يكن ادّعاءً جزافاً و بدون دليل، بل هناك روايات تدعم ما ندّعيه، حيث نرى أنّ الرواه من أصحاب الأئمه عليهم السلام كانوا يخاطبونهم عليهم السلام بهذا العنوان «أهل البيت». بل يمكن القول: إنّّه ينبغى النظر إلى عنوان «أهل البيت» من بُعدين: الأول: مناسبه و شأن نزول الآيه، و من هذا البعد فإنّ أهل البيت هم أصحاب الكساء عليهم السلام فقط. الثانى: النظر إلى الآيه بلحاظ الحكم الذى تثبته، أى الطهاره و القداسه و إذهاب الرجس، و لما كان سائر أئمه الهدى عليهم السلام متساوين مع الخمسه أصحاب الكساء فى مفاد آيه التطهير، فإنّ العنوان منطبق عليهم و يجب القول إنّهم من أهل البيت أيضاً. و بعبارة اخرى: إنّ عنوان «أهل البيت» لا يحمل فى حدّ ذاته أى اعتبار خاصّ أو قيمه متميزه لآل الرسول عليهم السلام، بل القيمه و الاعتبار هي للكلمات و الصفات التى خلعتها آيه التطهير على من نزلت فى

شأنهم، و من شملتهم- كما ثبت في محلّه- من أئمة الهدى عليهم السلام، و لما كانت كلمه «أهل البيت» عنواناً للتفوق و الكمال، و اسماً حاكياً عن الطهر و القداسه و الفضيله، فإنّ كلّ من يتحلّى و يتصل بهذا العالم فإنّه ينسب إلى أهل البيت، و لعلّ هذا هو الوجه في قول النبيّ صلى الله عليه و آله-المتقدّم:-

«سلمان منّا أهل البيت» (1)، مع أنّ البون بين سلمان و المقام الأرفع للإمام الصادق عليه السلام شاسع جداً.

جوله في النصوص

قلنا: إنّ عباره «أهل البيت» إنّما عُرفت بعد نزول آيه التطهير، و أنّه لم يجر تداولها و استعمالها في أحاديث النبيّ صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام قبل ذلك-على قدر ما توصلنا إليه من البحث و الاستقصاء-. نعم، كانت عباره «أهل بيتي» كثيراً ما تتكرّر على لسان النبيّ صلى الله عليه و آله، و لكن تعبير «أهل البيت» لم يجر على لسان النبيّ صلى الله عليه و آله إلّا في أواخر عمره الشريف-و وفقاً لاستنباطنا السابق فإنّ نزول الآيه كان في أواخر حياه النبيّ صلى الله عليه و آله-و هذا ممّا يدلّ على أنّ هذا التعبير العظيم شاع بعد نزول الآيه، حيث سرى شيئاً فشيئاً حتّى صار في إطلاقات و استعمالات بقيه أئمة الهدى عليهم السلام. استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عباره «أهل البيت» وفقاً لما جاء في «نهج البلاغه» في أربعة مواضع: ١- في الخطبه الثالثه و التسعين، في معرض بيانه لفتنه تولّى بني

ص: ١٤٥

(١-١) تقدّم في ص ١٤٢.

امّيه زعامتهم المشئومه، قال من جمله ما قال: «نحن أهل البيت منها بمنجاه، ولسنا فيها بدعاه». ٢- في الخطبه المائه و العشرين: «و عندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضياء الأمر». ٣- في الخطبه الرابعه و العشرين بعد المائتين: «أصّله أم زكاه أم صدقه، فذلك محرم علينا أهل البيت». ٤- و في الحكمه الثانيه عشره بعد المائه يقول عليه السلام: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقير جلباباً. و خطب الحسن السبط عليه السلام عند ما ولي الخلافه، و كان من جمله كلامه: «و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس...» (١)، و في خطبه للحسين عليه السلام في مكّه، قال: «رضا الله رضانا أهل البيت» (٢).

ص: ١٤٦

١- ١) تأويل الآيات الظاهره: ٤٥٠.

٢- ٢) اللهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس: ١٢٦.

إلى هنا جرى البحث مُسهباً وفق متطلبات التحقيق في آية التطهير كلمة بكلمه، وما تناولناه من نكات تاريخيه دقيقه، وهكذا المسيره التي طواها عنوان «أهل البيت» على مدى تاريخ الإسلام، و كانت الخلاصه الموجزه: إنَّ الآية تختصُّ بأهل البيت عليهم السلام، وأهل البيت هم أصحاب الكساء، بمعنى أنَّ شأن نزول الآية هم النبي الأكرم و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، و أنَّ بقيه الأئمه الأطهار مشمولون بخصائص هذه الآية عن طريق آخر. و إنَّ الإراده التكوينية للبارئ عزَّ و جلَّ قضت أن يكون هناك فاصل أبدى بين الأرجاس و أهل بيت النبوه عليهم السلام. و إنَّ هذا اللطف و التوفيق الإلهي الكبير جاء استجابة لطاعتهم و إخلاصهم و استحقاقتهم. و يبلغ البحث هنا موقع دراسه مفاد مجموع الآية لنحدّد عطاءها لأهل البيت و سائر أئمه الهدى عليهم السلام، الذين هم بالنتيجه من أهل البيت عليهم السلام، ما ذا تريد الآية أن تهبهم و تخلع عليهم؟ إنَّ الإراده الأزليه للبارئ تعالى التي قضت الفصل بين الأئمه الأطهار و جميع الذنوب و الأرجاس، و حكمت لهم بالمزيد من الطهاره

و النزاهه، جعلت ذلك للنبيّ الأعظم و ابنته العزيزه و الأئمه الاثنى عشر- صلوات الله عليهم أجمعين- دون سائر الخلق، و لما كان المراد لا يتخلف عن الإراده الإلهيه فهو متحقق لا محاله، فمن المؤكد أنك ستجد هذه الصفوه الطاهره تتمتع بروح عاليه و نفس منيعه و صدر رحب يتسع للهموم و المشكلات، و قلب متقده و ضياء مفعم بالعلم، خال من موانع و حواجز إدراك الحقائق و فهم القرآن. إنهم بعيدو المدى، مطلقون على خفايا الحوادث، واقفون على أسرار الدين و رموز القرآن و إشاراته، لا يقربون الفواحش و لا يدنون الأرجاس من حقد و بخل و حسد و جهل و شك و خرافه، لا يعترهم شك و لا يأخذهم ضعف و لا وهن، إذ يتمتعون بروح عاليه و عظمه تنأى بهم عن القبائح و الذنوب، بل تأبى مجرد توهم ذلك و قصده! إنها قلوب طاهره مطمئنه لا تخفق إلما بحب الله و لا يخترق سماءها ذره من الهوى و حب الشهوات، إن الأئمه عليهم السلام يمثلون القمه فى التسليم لله و الغايه فى الإخلاص له، و فى رحاب النبيّ و الأئمه عليهم السلام لا تجد للحقد و البخل و الحسد محللاً، بل ما هى إلّا الرحمه و الرأفه بالناس، و كرم و عطاء لا يقف عند حدود، يهب البشريه الخير و هو يرسم لها طريق السعاده، و يحدد لها ما يُنجيها، و يحقق لها الخلاص بما عرفوه و وقفوا عليه من علوم القرآن و أسرارها، و ما استلهموه من مدرسه الوحي و التنزيل، فهم المعدون لهدايه الناس و إرشادهم و توجيههم و قيادتهم لسعاده الدارين. إن الرسول الأكرم و آله الأطهار عليهم السلام يمتلكون روحيات تحلق فوق القداسه و الطهر، و هكذا عينات و نماذج طاهره مطهره هى التى يمكنها أن تأخذ بيد المجتمع و تقوده نحو الطهاره و السعاده. إنهم من الطهاره

بمكان لا يدنوه ذنب ولا يقربه رجس، فلا تعلق بأذيالهم ذرّه غبار من معصيه، ولا تؤثر على أرواحهم النزيهه، ولا شكّ في أنّ أمثال هؤلاء الرجال يسيرون بالأئمّه إلى الطهاره الفكرية والعملية. إنّها مشيئه الربّ وإرادته جلّ و علا، التي قضت أن لا يعتلى عرش الفضيله إلّا «أهل البيت» عليهم السلام، ولا يترجّع على قمه المجد و الطهاره غيرهم، فيتمتّعون بالقلوب السليمه، التي تولّى الله رياضتها و الأنفس العاليه التي تنعكس فيها الحقائق الربانيه، ولا- يعترىها شكّ و لا- يؤثر فيها حدث مهما كبر و عظم. إنّهم العالمون بجميع شرائع و أحكام الدين، الواقفون على رموز التكوين، و المكنون من أسرار القرآن العظيم، لا لبس في حياتهم و لا إبهام و لا- جهل، و لم يفسحوا الطريق لأدنى شكّ أو ريبه لتحول بينهم و بين دوام إخلاصهم و توجيههم لباريهم الحيّ القيوم. و هؤلاء هم «أهل البيت» عليهم السلام فقط، الذين شاء الله أن يفصل بينهم و بين الذنوب و المعاصي و الرذائل و وساوس الشيطان بمساحه شاسعه لا تقطعها ملايين الفراسخ، و هذا الفاصل هو الذي أمّن حصانتهم و حصّل لهم العصمه من الخطأ و الزلل، فهم لا يزّلون كيلا- يزّل المجتمع، و لا- يتزلزلون أمام الدنيا و زخرفها كيلا تتزلزل أمّه بكاملها. هذا هو مفاد آيه التطهير الكريمه، الذي جاءت به إرادته الحصر، و إطلاق كلمه «الرجس»، و معنى تعلق إرادته الحقّ تعالى بإذهاب الرجس عنهم، و تأكيد الطهاره، على صورته جملة و يُطَهَّرْكُمْ تَطْهِيراً. من هنا يتّضح السرّ و تظهر الحكمة الإلهيه جليّه في هذه الإفاضات الخاصه، التي جعلت هذه الثله المباركه تسبح فوق قمم الفضيله

و الطهاره، و ما هى إلما خطه وضعت لتحقيق نتائج غايه فى الأهميه جعلت أهل البيت يبدون على هذا القدر من الجمال و الكمال، إننا مسأله زعامه المسلمين و قضيه قياده الأئمه الإسلاميه. فما خلعه البارئ عزّ و جلّ على «أهل البيت» عليهم السلام من الطهاره و العصمه، و ما سلّحهم به من سعه الصدر و سلامه النفس و عظمه الروح، و زودهم به من علم بالواقع و بصيره ثاقبه سيعود بالنفع على الأئمه أولاً- و آخرأ، و هو من أتمّ مظاهر لطف الله بهذه الأئمه المرحومه، إذ منّ الله بهم علينا فجعلهم فى بيوتِ أذنَ الله أن ترفعَ و يُذكرَ فيها اسمه ١، فيغترف المسلمون من معين علومهم الزلال، و ينهلون من فيض عدالتهم و كرمهم و طهارتهم، فيسرى شعاعهم و يعمّ الأئمه فترقى فى طريق الطهاره و التقى، و تسلك درب السعاده الأبدية و تحقّق لنفسها النجاه فى الدارين. فتربيه «أهل البيت» عليهم السلام تربيّه للأئمه و عطاء الله سبحانه و تعالى الذى اختصّهم به هو عطاء سيشمل الأئمه و يعمّها خيره إن هى أحسنت و امتثلت أمر بارئها باتباع سيّلتهم، و بقيت مسئوليّه الأئمه فى الاتباع و استثمار هذا اللطف و العنايه الإلهيه التى وضعت هذه الخطه لقياده الأئمه و تحقيق خلاصها.

إثبات ولايه أهل البيت عليهم السلام بالآيه

إنّ آيه التطهير تثبت ولايه «أهل البيت» عليهم السلام و تقرّر زعامتهم، بل

هي بصدد طرح قضيه الإمامه و الزعامه و لفت الأنظار إليها، و إلّا لما كان لإرادته البارئ عزّ و جلّ أن تصبّ كلّ هذا الاهتمام و تولّى كلّ هذه العنايه، و لتوضيح هذا المطلب الجوهري نشير إلى أمرين: الأوّل: رأينا كيف أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استند إلى آيه التطهير في إثبات إمامته و حقّه و صلاحيته في خلافه رسول الله صلى الله عليه و آله في قصّه السقيفه و الشورى. و أنّ الإمام الحسن عليه السلام طرح الآيه و لفت الأنظار إليها في أوّل مؤتمر عام عقد لإعلان خلافته، أمّا الإمام الصادق عليه السلام فقد قال بشأن آيه التطهير: «نزلت هذه الآيه في النبيّ و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و فاطمه عليهم السلام، فلما قبض الله عزّ و جلّ نبيّه صلى الله عليه و آله كان أمير المؤمنين ثمّ الحسن ثمّ الحسين عليهم السلام... فطاعتهم طاعه الله عزّ و جلّ و معصيتهم معصيه الله» (١). و قد قرأنا في روايه الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام (٢) أنّه تكلم في تفسير الآيه فتطرّق إلى الإمامه و الولايه. و يستفاد من مجموع كلام الإمام أمير المؤمنين و الإمام الحسن و الإمام الصادق عليهم السلام أنّ آيه التطهير إنّما كانت في معرض بيان حكم الإمامه و الولايه، و أنّها تثبت لأهل هذا البيت. الثاني: لقد أوضحنا فيما مضى من البحث أنّ مجموع الآيات التي تحدّثت عن نساء النبيّ صلى الله عليه و آله رسمت المنهج الذي يجب عليهنّ أن يعملن

ص: ١٥١

١-١) علل الشرائع: ٢٠٥ ب ١٥٦ ح ٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٣ روايه عبد الرحمن بن كثير.

٢-٢) تقدّمت في ص ١٤٢.

به، وأن آية التطهير التي تخللت تلك الآيات في مقام التدوين وضحت موقع «أهل البيت» عليهم السلام، وهذه الصيغة الصريحة في البلاغ تعكس أهميه الموقف وخطورته، فمستقبل الإسلام يفرض أن تعلم زوجات النبي صلى الله عليه وآله بتكاليهتهن وعملن ويتقيدن بها، وفي المقابل أن يعلم عموم المسلمين موقع «أهل البيت» عليهم السلام وخصوصيتهم والدور المناط بهم. إذن هذه الآيات كانت تلحظ وتضع الخطه لمستقبل الإسلام، وهي تحسم أمر عائله الرسول صلى الله عليه وآله ككل في موقع واحد، فقسم عليه أن يبقى في الخدر وراء الحجاب، بعيداً عن شؤون السياسه والدوله، وثله خاصه انيط بها حفظ الإسلام وقيادته وهدايه المسلمين وإمامتهم، وقد أولاهم البارئ المدبر عز وجل المنزله الرفيعه وبلغ بهم حدّاً محيّراً وعجيباً من الطهاره والعصمه في سبيل أن يبقى الدين منزهاً عن الزلل والخطأ، بعيداً عن التلوّث والانحراف، الذي قد يلحقه به أدعياء الإمامه ومغتصبو الخلفه من عبده الشهوات. وقد زوّدهم سبحانه وتعالى بصدور رحبه وهمم عاليه وقلوب منيعه، ليتمكّنوا من الاستقامه والصمود أمام ما ينتظرهم من حوادث مرعبه، ومقاومه الأحداث القاهره التي ستأتي على الإسلام والمسلمين، فلا يثنوا عن مسؤوليتهم ولا يستسلموا. لقد حباهم الله علماً جمّاً وبصيره نافذه ليتمكّنهم من الدفاع عن حياض دينه والنهوض باحتجاجات ومخاصمات الأعداء ويردّوهم على أعقابهم خائبين مفحّمين، وبما يمكنهم من وضع منهج ديني متوافق مع مبادئ القرآن الكريم، وبوقوفهم على أسرار الوحي يمكنهم أن يحيلوا كلّ عسير من مشاكل الأّمه سهلاً يسيراً، ويخرجوا الناس من متاهات الحيره

و الأوهام إلى نور الحقّ و الصواب، و يقدرهم الله سبحانه بما أطلعهم عليه من غيبه من معالجه الحوادث و القضايا برؤيه عميقه و بصيره نافذه تحيط بالحيثيات الظاهره و الخفيّه؛ ليأمن الناس و يسكنوا إلى قياده و اعيه تحقّق لهم الأمن و الاستقلال عن السقوط فى مهاوى الغرباء و الأجانب، و السلامه و الحفظ من ويلات الجهل و عواقب الانحراف، و ينهلوا من العطاء المتجدّد الذى يتجلّى فى كلّ عصر وفق مقتضيات الزمان بما لا يمَسّ أصاله الدين و نقاء الإسلام المبين. لقد نرّههم الله و طهرهم من جميع الآفات النفسيه و الأغراض و الأهواء، و حصّنهم من جميع الأمراض الروحيه و الأخلاقيه حتّى لا يسرى شيء من هذه الأخطار إلى الأمّه و يجزّها إلى الفساد فيضمحلّ الإسلام و تزول الشريعه، و حتّى لا يتحوّل قاده المسلمين و زعماء الدين إلى طغاه متعطشين للحكم و التسلّط على الرقاب، تحدوهم الشهوات و تدفعهم الملذّات لنيل السلطه بالبطش و ملئ الزنانات بالمظلومين. نعم، لم يردها الله دكتاتوريه منمّقه بأسماء رنّانه و استبداداً يستمدّ ظلمه و طغيانه من عناوين مزخرفه، فتنصب المشانق و تفتح السجون و يُسلب الناس الحريه الفكرية التى هى من أوّليات الحياه الكريمه. فمنح القاده الحقيقيين العصمه و طهر قلوبهم من الغلّ و الحسد و الحرص و من جميع بواعث الظلم و دوافع الاستبداد.

ملاحظه

اشاره

يجب أن نُعيد إلى الأذهان أن ما تناولناه بالبحث حول دور النساء إنّما يتعلّق بزوجات النبيّ صلى الله عليه و آله على الخصوص، و ذلك فى الآيات المعيّنه

ص: ١٥٣

التي صدرنا بها البحث، فقلنا: إنَّها ناظره إلى دور نساء النبي صلى الله عليه وآله و المنهج الذي عليهنَّ اتَّباعه من لزوم الخدر و الحجاب، و البقاء في البيت بعيداً عن القضايا السياسيه و الاجتماعيه، و هكذا عرضنا لخصوصيَّتهن بلحاظ الأجر المضاعف الذي ينتظر المحسنه منهنَّ، و العذاب و العقوبه المضاعفه التي أعدت للمسيئه منهنَّ ممَّا صرَّحت به الآية: لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ١. من هنا فإنَّ البحث تعلق بزوجات النبي صلى الله عليه وآله دون غيرهنَّ من النساء، أمَّا بخصوص دور المرأة المسلمه في الحياه الاجتماعيه الإسلاميه فهذا ما لم نتعرَّض له، و هو بحث مستقل خارج عن نطاق الكتاب و لا تتحمَّله هذه العجالة.

ما ذا عن الزهراء عليها السلام، و دورها و موقعها؟

و هنا نختم البحث بسؤال يطرح نفسه: إنَّ آيه التطهير تحدَّثت عن خمس أشخاص من أولياء الله، اتَّخذهم الله و أعدهم و هيأهم بالعلم و العصمه و التطهير و رشَّحهم لمقام قياده المسلمين و إمامتهم، و إنَّ موضوع بحث الآية هم «أهل البيت» عليهم السلام، و هم خمس أشخاص، و السيده الزهراء صلوات الله عليها و حيدده أبيها و عزيزته هي من هؤلاء الخمسه، فهل كان لها أن تشارك في أعمال الدوله الإسلاميه و شؤون إمامه المسلمين و أن تتولَّى زعامتهم؟

يبدو أنّ السؤال ما كان ليُثار لو أنّ التدقيق التامّ كان قد اعتمِل في البحوث السابقة، إنّ الدراسه لم تطرح و لم تدع وجود دلالة مطابقيه (1) بين آيه التطهير و لزوم القياده و الزعامه لهذه الثله المباركه عليهم السلام، بل إنّنا فهمنا من معاني تعابير: الإراده، الرجس، التطهير، التي وردت في الآيه، أنّ هناك مشيئه رأيانيه في انبعاث و ظهور نماذج بشريه خاصه تتمتع بمواصفات و خصائص متميزه، كالعصمه و الطهاره وسعه الصدر و العلم، فصل الله بينهم و بين الأرجاس و الرذائل، ثمّ حللنا القضيه على أنّ إرادته الباري لا تتعلق بمثل هذا الأمر جزافاً، فلا بدّ من حكمه و مصلحه عليا، و رأينا أنّ ذلك لحفظ الإسلام من التحريف و التزييف و صون تعاليمه و أحكامه عن التشويه و اللبس، و أنّ ذلك لا يكون إلّا عن طريق اناس يتمتعون بصفات و مواهب خاصه، يجب أن يكون لهم مقام الصداره و تُسلّم إليهم مقاليد الزعامه لتأديه هذا الدور. و لم نقل على أيّ نحو: إنّ آيه التطهير من أدلّه إمامه «أهل البيت» عليهم السلام بالمفهوم المطابقي حتّى يكون كلّ فرد ممّن ذكر في الآيه مُرشحاً للإمامه و مندوباً للزعامه في مستقبل الإسلام، بل كانت الدعوى أنّ مفاد الآيه الكريمة يتناسب و منصب الزعامه و الإمامه، من

ص: ١٥٥

(١ - ١) الدلاله المطابقيه أو التطابقيه: أن يدلّ اللفظ أو العنوان على تمام معناه الموضوع له و يطابقه، كدلاله لفظ الكتاب على تمام معناه، فيدخل فيه جميع أوراقه و ما فيه من نقوش و غلاف. و ليس الفرض في البحث أنّ آيه التطهير لها دلالة على نحو المطابقيه مع موضوع الإمامه....

باب أن تحلّى تلك الثلّة بكلّ هذه الكمالات لا يصحّ أن يخلو من حكمه وعلّه ترتبط بالإسلام و مسيرته و مستقبله، و دون أن تنعكس هذه الهبات و العطايا الإلهية الجزيله ل «أهل البيت» عليهم السلام على عموم المسلمين و على المجتمع الإسلامى ككلّ، فكان ممّا استفدناه أنّ مسأله الإمامه و القياده أحد معطيات هذه الآيه الكريمة. و لكن هل يفترض فى عائله كامله طهّرت و ملئت علماً و فضيله فى سبيل خدمه الدين و حفظ الإسلام، أن يكون جميع أفراد هذه الأسره زعماء و قادة، أم أنّ الفرض الصحيح فى هكذا حاله أن تكون الأسره ككلّ مشتركه فى حفظ الدين و مصير الإسلام، مع انفراد كلّ عضو بواجب مستقلّ يتناسب و يُلائم وضعه و حاله؟ إذن علينا أن نتبيّن الدور و المسئوليه الملقاه على عاتق كلّ من هؤلاء الخمسه عليهم السلام. إذا كان البارئ تعالى يريد لكلّ فرد من هذه الأسره العظيمه المكوّنه من زوجين و ابنين - أمّا النبىّ صلى الله عليه و آله فقد كان يقضى الأيام الأخيره لعهدّه و زعامته، إذ نزلت آيه التطهير فى أواخر حياته الشريفه صلى الله عليه و آله - دوراً معيّناً و ألقى على عاتقهم مسئوليه خاصّه لحفظ الدين، و وهبهم تلك الصفات و الخصائص فى سبيل تنفيذها و تمكينهم من حسن أدائها، فإنّ دور الأب و الابنين تحدّد و اتّضح: القياده و الإمامه، كلّ فى عصره و زمانه، و قد ذكروا هذا الأمر و أشاروا إليه بأنفسهم فى أحاديثهم استدلالاً بالآيه الشريفه، و بقيت مهمّه هذه المرأه العظيمه و الدور الملقى على عاتقها. إنّ دور الزهراء عليها السلام قد أفرزته و صنّفته الآيه الكريمة أيضاً، فتوزيع

الأدوار و تقسيم المسئوليات الذى يجعل من الزوج و الأبناء أئمة وقاده للدين يفرض على الزوجه و الأم دوراً متناسباً مع هذا الوضع، فالأسره التى يجب أن يكون ربها زعيماً و الأولاد كذلك كل فى عهده، يجب أن تتحدّد مسئوليته سيده تلك الأسره و ربه ذلك البيت- التى تتمتع بنفس الفضائل و الكمالات- بإعداد أبنائها للدور المنتظر، و الوقوف خلف الزوج و التعاون معه و توفير الأ-جواء الروحيه و النفسيه التى يتطلّبها النهوض بذلك الدور. فاطمه هى امّ أئمة الهدى الذين هم الآيات الربانيه العظمى التى تتحلّى بأعلى الكمالات البشريه و تتمتع بقمّه المعنويات الإلهيه، و المفترض أن يحافظوا على هذه المراتب إلى الأبد، فلا بدّ من درع واقية تحافظ عليهم و تشكّل الحمايه الطبيعيه لهم، فكانت امّهم الزهراء صلوات الله عليها. فاطمه عليها السلام هى زوج على عليه السلام، زعيم الإسلام و إمام المسلمين الأوّل، و لا بدّ من نسخيّه و تقارب فى الرتبه المعنويه و الروحيه بين الزوجين؛ لتكون الاسره ناجحه و تتمكّن من العيش السليم و أداء الدور الرّبّاني و المسئوليته الرساليه على أكمل وجه، من هنا كانت الطهاره و العصمه و ما خلق الله على الزهراء عليها السلام من كمال، ضروره طبيعيه لنصره الدين و تحقيق أهدافه الخلفه الإلهيه الممتده فى ذراريها (1).

ص: ١٥٧

(١- ١) من الواضح أن الكاتب ليس فى معرض بيان مقامات أهل البيت عليهم السلام و البحث فى مراتبهم، و أنّه يتناول الأمر على طريقه الأصوليين فى القول بحجّيه أقوال المعصومين عليهم السلام، و قد دخله مدخل الكلاميين فى ضروره العصمه للحجّه، و عموماً، فهو يسعى لطرح يوفر معالجه عقليه للقضيّه، أمّا ما يتعلّق بمقامات هذه الأنوار و حقيقه مراتبهم فتجدها فى روايات «أهل البيت» عليهم السلام التى تخلو من إشاره للتعليل المذكور هنا، أو تعليق حصول الزهراء عليها السلام، و هكذا بقيه الأئمه عليهم السلام على المقامات المعنويه لرساله سينهضون بها، أو دور سيّناط بهم، بل هى من متعلّقات ذواتهم و ضرورات وجودهم. و للتبرّك بكلامهم و للمزيد من النورانيه فى معرفتهم نذكر بعض الأحاديث الشريفه، من ذلك ما روى مرفوعاً إلى سلمان الفارسي، قال: كنت جالساً عند النّبىّ صلى الله عليه و آله فى المسجد، إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلمّ فردّ النّبىّ صلى الله عليه و آله السلام و رحّب به، فقال: يا رسول الله بِمَ فضّل الله علينا عليّ بن أبى طالب عليه السلام و المعادن واحده؟ فقال النّبىّ صلى الله عليه و آله: إذن اخبرك يا عمّ: إنّ الله خلقنى و خلق عليّاً و لا سماء و لا أرض، و لا جنّه و لا نار، و لا لوح و لا قلم، فلما أراد الله عزّ و جلّ بدو خلقنا تكلمّ بكلمه فكانت نوراً، ثمّ تكلمّ بكلمه ثانيه فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما و اعتدلا فخلقنى و عليّاً منهما، ثمّ فتق من نورى نور العرش، فأنا أجلّ من العرش، ثمّ فتق من نور على عليه السلام نور السماوات، فعلىّ أجلّ من السماوات، ثمّ فتق من نور الحسن عليه السلام نور الشمس و من نور الحسين عليه السلام نور القمر، فهما أجلّ من الشمس و القمر، و كانت الملائكه تسبّح الله تعالى و تقدّسه و تقول فى تسيحها: سيّوح قدّوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى. فلما أراد الله أن يبلو الملائكه أرسل عليهم سحاباً من ظلمه، و كانت الملائكه لا- تنظر أولها من آخرها و لا- آخرها من أولها، فقالت الملائكه: إلهنا و سيّدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلّا ما كشفت عنا. فقال الله عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى لأفعلنّ، فخلق نور فاطمه عليها السلام يومئذ كالقنديل، و علّقه فى قرط العرش، فزهرت السماوات السبع و الأرضون السبع، من أجل ذلك سيّمت فاطمه الزهراء. و كانت الملائكه تسبّح الله و تقدّسه، فقال الله عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى لأجعلنّ ثواب تسيحكهم و تقديسكم إلى يوم القيامة لمحبيّ هذه المرأه و أبيها و بعلها و بنيتها. قال سلمان: فخرج العباس فلقبه على عليه السلام، فضمّه إلى صدره و قبل ما بين عينيه، و قال: بأبى عتره المصطفى من أهل بيت ما أكرمكم على الله تعالى. (إرشاد القلوب

للديلمى ٤٠٣:٢، البحار للمجلسى ١٧:٤٣:١٦). و عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لَمَّا خلق الله تعالى آدم أبو البشر و نفخ فيه من روحه التفت آدم إلى يمينه العرش، فإذا فى النور خمسة أشباح سجّداً و ركعاً، قال آدم: يا ربّ هل خلقت أحداً من طين قبلى؟ قال: لا- يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم فى هيئتى و صورتى؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائى، لولاهم ما خلقت الجنّة و لا- النار و لا العرش و لا الكرسي و لا السماء و لا- الأرض، و لا الملائكة و لا الإنس و لا الجنّ، فأنا المحمود و هذا محمّد، و أنا العالى و هذا علىّ، و أنا الفاطر و هذه فاطمه، و أنا الإحسان و هذا الحسن، و أنا المحسن و هذا الحسين، آليت بعزّتى أنّه لا يأتينى أحد بمثقال ذرّه من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته نارى و لا ابالى. يا آدم، هؤلاء صفوتى من خلقى، بهم انجيهم و بهم أهلكهم، فإذا كان لك إلىّ حاجة فبهؤلاء توّسل. فقال النبي صلى الله عليه وآله: نحن سفينة النجاه، من تعلّق بها نجا و من حادّ عنها هلك، فمن كان له إلىّ الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت. (فرائد السمطين ٣٦:١، فاطمه الزهراء بهجه قلب المصطفى؛ الرحمانى الهمدانى: ٣٩). و هذا قول للإمام الخمينى قدّس الله نفسه الزكية، أوردته بمناسبة ميلاد الزهراء عليها السلام يذكر فيه: «لم تكن الزهراء امرأه عاديه، بل كانت امرأه روحانيه، امرأه ملكوتيه، إنساناً بكلّ ما للإنسان من معنى، إنّها موجود ملكوتى ظهر فى عالمنا على صورته إنسان، بل موجود إلهى جبروتى ظهر بصوره امرأه، لقد تجسّدت كلّ الهويات الكماليه التى يمكن تصوّرها فى الإنسان فى هذه المرأه. غداً تحلّ ذكرى ميلاد امرأه تحوى جميع خصائص الأنبياء و خصوصياتهم، امرأه لو كانت رجلاً لكانت نبياً، و لكانت فى مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ! إنّها تحمل و تجمع جميع المعنويات و التجليات الملكوتيه و الإلهيه و الجبروتيه و الملكيه و الناسوتيه، إنّ هذه النشأه و الخلقه الصوريه الطبيعيه هى أدنى مراتب الإنسان، الرجل و المرأه، و لكن الحركه نحو الكمال تبدأ من هذه المرتبه النازله، فالإنسان موجود متحرّك من مرتبه الطبيعيه إلى مرتبه الغيب، و منها إلى الفناء فى الألوهيه، هذه المعانى كانت متحقّقه فى الصديقه الطاهره، انطلقت من مرتبه الطبيعيه و بلغت مرتبه قصر و عجز عنها الجميع» (صحيفه النور ١٨٥:٦). و من ذلك ما ذكره العلّامه المقرّم فى عصمه الزهراء عليها السلام: «و لو أعرضنا عن البرهنه العلميه فإنّنا لا ننسى مهما ننسى شيئاً، أنّها صلوات الله عليها مشتقّه من نور النبي صلى الله عليه وآله، المنتجب من الشعاع الإلهى، فهى شظيّه من الحقيقه المحمّديه، المصوغه من عنصر القداسه، فمن المستحيل -و الحال هذه- أن يتطرّق الإيتم إلى أفعالها، أو أن توصم بشىء من شيه العار، فلا- يهولنّيك ما يقرع سمعك من الطنين أخذاً من الميول و الأهواء المرديه، بأنّ العصمه الثابته لمن شاركها فى الكساء لأجل تحمّلهم الحجّيه من رساله أو إمامه، و قد تخلّمت الحوراء عنهما، فلا- تجب عصمتها، فإنّنا لم نقل بتحقيق العصمه فيهم عليهم السلام لأجل تبليغ الأحكام، و إنّما تمسّينا كذا لعصمتهم بعد نصّ الكتاب العزيز باقتضاء الطبيعيه المتكوّنه من النور الإلهى المستحيل فيمن اشتق منه مقارفه إيتم، أو تلوث بما لا يلائم ذلك النور الأرفع حتّى فى مثل ترك الأولى» (وفاه الصديقه الزهراء عليها السلام: ٥٤).

إنَّ الإِرادَةَ الرِّبَّانِيَّةَ فِي طَهَارَةِ الأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ، وَ إِحْدَى أَهَمِّ أَسْبَابِ تَفَوُّقِ الإِنْسَانِ هُوَ طَيْبُ مَوْلَدِهِ وَ طَهَارَةُ الحِجْرِ الَّذِي يَنْشَأُ فِيهِ. أَرَادَ اللهُ لَهُمُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الطَّاهِرَةَ، وَ لَكِنَّهُ أَرَادَ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ مَنْطَلِقَهُمْ فِي هَذَا الطَّرِيقِ هُوَ حِجْرُ الأُمَّةِ الطَّاهِرَةِ، فَطَهَّرَهَا وَ عَصَمَهَا. مِنْ هَذَا البَيَانِ نَدْرِكُ مَكَانَةَ الأُمَّةِ، وَ نَرَى كَيْفَ أَنَّ وَجُودَ الأُمَّةِ مُؤَثِّرٌ حَتَّى فِي أَوْلِيائِكَ الَّذينَ يَرِيدُ اللهُ لَهُمُ الطَّاهِرَةَ وَ العَصَمَةَ، فَكَانَ حَتْمًا أَنْ يَنْشِئُوا فِي الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ وَ الحِجُورِ المُطَهَّرَةِ، وَ أَنْ يَحْضُوا بِرِعايَةِ وَ اُمُومَةِ قَمَّةِ فِي الشَّرَفِ وَ العِفَّةِ وَ العِلْمِ وَ المَعْرِفَةِ، وَ أَنْ يَطُورُوا مَراحِلَ الرِّقِيِّ

و يتمكّنوا من الانتصار فى السير على الصراط المستقيم بركة تلك الأم الفاضله. وهكذا نستنتج أنّ العنايه الربانيه التى شملت الزهراء عليها السلام فى آيه التطهير كانت أكثر من تلك التى هبطت على بقيه المجتمعين تحت الكساء! ولعلّ فى الروايات ما يرمز إلى هذا المعنى، إذ إنّ أكثر الأخبار تشير إلى أنّ فاطمه عليها السلام كانت أوّل الحضور تحت الكساء، وأنّ النبىّ صلى الله عليه وآله طلب منها استدعاء زوجها و ابنها عليهم السلام. نعم، إنّ آيه التطهير سجّلت الإفاضه الربانيه على أهل الكساء، وهذا ممّا ترتّب عليه واجبات و مسؤوليات تجاه الله و الدين و الناس، و نعلم أنّ هذه الواجبات الملقاه على عاتق «أهل البيت» عليهم السلام تختلف و تتفاوت من فرد إلى آخر، ممّا يعنى تنوّع الأدوار و إن اتّحدت المسئوليه و التقى الهدف، إذن دور فاطمه عليها السلام الذى تؤدّى من خلاله رسالتها فى حفظ الدين و الدفاع عن حياضه هو أن تكون زوجه صالحه لزوجها العظيم، و أن تؤمّن له الأجواء المعنويه و تقف خلفه ليتمكّن من أداء دوره على أحسن وجه. و أن تكون امّياً حنوناً، تفيض عطفاً على أولادها، و ليكونوا و هم فى حجرها، فى المكان المناسب و الصحيح ليتلقوا الفيض الإلهى من التريه الصالحه التى تمكّنهم من بلوغ الغايه فى الفضيله و القمه فى الأخلاق و يحقّقوا ما يريدّه الله لهم. «و السلام على امّ الأئمّه النقباء النجباء فاطمه الزهراء و على أبيها و بعلمها و بنيتها».

١- القرآن الكريم ٢- الإتيقان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد السيوطي (م ٩١١)، المكتبة الثقافية، بيروت. ٣-
الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (م ٥٤٨)، دار النعمان، النجف، ١٣٨٦ هـ. ٤- أحوال الرجال، لأبي
إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (م ٢٥٩)، مؤسّسه الرساله، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ. ٥- اختيار معرفة الرجال (رجال
الكشّى)، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) جامعته مشهد، الطبعة الأولى، ١٣٤٨ ش. ٦- إرشاد
القلوب، لحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن الثامن)، مؤسّسه الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨ هـ. ٧- أسباب
النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمّد بن علي الواحدي النيسابوري (م ٤٦٨)، مطبعه أمير، قم، ١٣٦٢ هـ. ٨- الأمالي، لشيخ
الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥-٤٦٠)، مؤسّسه البعثه، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٩-بحار الأنوار، للعلامة محمد باقر بن محمد تقى المجلسى (١٠٣٧-١١١١)، دار الكتب الإسلاميه، طهران، ١٣٨٥هـ. ١٠-البرهان فى تفسير القرآن، للسيد هاشم بن سليمان الحسينى البحرانى (م ١١٠٧ أو ١١٠٩)، دار الكتب العلميه، قم. ١١-البيان فى تفسير القرآن، للسيد أبو القاسم الخوئى (١٣١٧-١٤١٣)، المطبعه العلميه، قم، ١٣٩٤هـ. ١٢-تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره، للسيد شرف الدين على الحسينى الاسترآبادى الغروى (من أعلام القرن العاشر)، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعه الأولى، ١٤٠٩هـ. ١٣-تفسير العياشى، لأبى النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندى (من أعلام القرن الرابع)، المكتبه العلميه الإسلاميه، طهران. ١٤-تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (م ٧٧٤)، دار المعرفه، بيروت، ١٤٠٦هـ. ١٥-تفسير القمى، لأبى الحسن على بن إبراهيم القمى (من أعلام قرنى ٣-٤)، منشورات العلامة، قم. ١٦-تفسير نور الثقلين، لعبد على بن جمعه العروسى الحويزى (م ١١١٢)، دار الكتب العلميه، قم. ١٧-تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، لجمال الدين أبى الحجاج يوسف المزى (٦٥٤-٧٤٢)، مؤسسه الرساله، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١٣هـ. ١٨-جامع البيان فى تفسير القرآن، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (م ٣١٠)، دار المعرفه، بيروت، الطبعه الرابعه، ١٤٠٠هـ. ١٩-جواهر البلاغه فى المعانى و البيان و البديع، لأحمد بن إبراهيم الهاشمى

(١٣٦٢-١٢٩٥)، نشر حبيب، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ. ٢٠- حليه الأولياء و طبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (م ٤٣٠)، دار الكتب العلمية، بيروت. ٢١- الخصال، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١)، مؤسسه النشر الإسلامی، قم، ١٤٠٣ هـ. ٢٢- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (م ٩١١)، مكتبه آيه الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤ هـ. ٢٣- ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري (٥٠ هـ)، دار صادر، بيروت. ٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، لشهاب الدين السيّد محمود الألوسي البغدادي (م ١٢٧٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ٢٥- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (م ٢٧٥)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ. ٢٦- شرح نهج البلاغه، لعزّ الدين أبي حامد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني (٥٨٦-٦٥٦)، مكتبه آيه الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤ هـ. ٢٧- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، لعبيد الله بن عبد الله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني (من أعلام القرن الخامس)، مؤسسه الطبع و النشر التابعه لوزاره الثقافه و الإرشاد الإسلامی، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ. ٢٨- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن

بردزبه البخارى (١٩٤-٢٥٦)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩ هـ. ٢٩- صحيفه نور، مجموعه رهنمودهاى امام خمينى، وزارت ارشاد اسلامى، تهران، ١٣٦١ ش. ٣٠- الصواعق المحرقة، لأحمد بن محمّد بن محمّد بن على بن محمّد بن على بن حجر الهيثمى المكي (٩٠٩-٩٧٤)، مكتبه القايره. ٣١- علل الشرائع، لأبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١)، المكتبه الحيدريّه، النجف. ٣٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام، لأبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١)، دار الكتب الإسلاميه، طهران. ٣٣- غايه المرام، للسيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحراني التوبلي الكتاني (م ١١٠٧) مؤسسه الأعلمي، بيروت. ٣٤- فرائد السمطين، لإبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله بن على بن محمد الجويني الخراساني (٦٤٤-٧٢٢)، مؤسسه المحمودي، بيروت، الطبعه الأولى، ١٣٩٨ هـ. ٣٥- الفصل في الملل و الأهواء و النحل، لأبى محمّد على بن أحمد بن حزم الظاهري (٣٨٤-٤٥٦)، المطبعه الأديبه، مصر، الطبعه الأولى، ١٣٢٠ هـ. ٣٦- في ظلال القرآن، لسيد بن قطب بن إبراهيم (١٣٢٤-١٣٨٧)، دار الشروق، بيروت، الطبعه العاشره، ١٤٠٢ هـ. ٣٧- قاموس الرجال، لمحمّد تقى التستري (١٣٢٠-١٤١٥)، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعه الأولى.

٣٨-الكافي، لثقه الإسلام أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩)، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ. ٣٩-
الكامل في التاريخ، لعلّى بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠)، دار
صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ. ٤٠-كتاب المجروحين من المحدّثين و الضعفاء و المتروكين، لمحمّد بن حبان بن أحمد أبي حاتم
التميمي البستي (م ٣٥٤)، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ. ٤١-الكلمة الغزاة في تفضيل الزهراء عليها السلام، للسيد عبد
الحسين شرف الدين (م ١٣٧٧)، مكتبة الإمام للنشر و الدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤١٦هـ. ٤٢-كمال الدين و تمام النعمه، لأبي
جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١)، مؤسسه النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثالثة،
١٤١٦هـ. ٤٣-كنز العمّال في سنن الأقوال و الأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨-٩٧٥)، مؤسسه
الرساله، بيروت، ١٤٠٩هـ. ٤٤-اللهوف على قتلى الطفوف، للسيد علي بن موسى بن طاوس (م ٦٦٤)، دار الأسوه، قم، الطبعة الأولى،
١٤١٤هـ. ٤٥-مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (م ٥٤٨)، دار الفكر، بيروت،
١٤١٤هـ. ٤٦-مروج الذهب و معادن الجواهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (م ٣٤٦)، دار الهجره، قم، الطبعة
الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤٧-المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (م٤٠٥)، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١١هـ. ٤٨-المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١)، دار الفكر، بيروت، الطبعه الثانيه، ١٤١٤هـ. ٤٩-معجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى البغدادي (٥٧٤-٦٢٤)، دار الفكر، بيروت، الطبعه الثالثه، ١٤٠٠هـ. ٥٠-المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعه الثانيه. ٥١-الميزان فى تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢)، مؤسسه إسماعيليان، قم، الطبعه الثالثه، ١٣٩٣هـ. ٥٢-نهايه الحكمه، للسيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢)، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعه الخامسه عشره، ١٤٢٠هـ. ٥٣-نهج البلاغه، للسيد الشريف أبى الحسن محمد بن الرضى بن الحسن الموسوى (م٤٠٦)، تحقيق صحى الصالح، دار الأسوه، طهران، الطبعه الثانيه، ١٤١٨هـ. ٥٤-وفاه الصديقه الزهراء عليها السلام، للسيد عبد الرزاق الموسوى المقرّم، المطبعه الحيدريه، النجف، ١٣٧٠هـ. ٥٥-وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

